ناجي علوش

الحركة القومية العربية

نشوؤها، تطوّرها، اتجاهاتها

دار الطليعة - بيروت

الرفيق والصديق

على الطريق معاً

مع المودة

الحركة القومية العربية

ناجي علوش

الحركة القوميّة العربيّة

نشوؤها، تطوّرها، اتجاهاتها

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار الطليعة
بيروت - ص.ب ١١١٨١٣

الطبعة الاولى
آذار (مارس) ١٩٧٥

مُقدّمة

حاولت في هذه الدراسة ان ألقي أضواء على الحركة القومية العربية منذ أوائل القرن الماضي حتى أواخر الستينات . وقد تناولت عوامل نشوئها وتطورها وانتكاسها وتعثرها ، دون أن أدخل في تعقيدات تاريخها السياسي . ولذلك فقد اكتفيت بتناول الخطوط العامة للتطورات السياسية والنظرية، ولم أدخل في التفاصيل .

ولقد كانت هذه الدراسة جزءاً من كتاب أُعدُّه حول تطور الحركة الوطنية العربية الحديثة، باتجاهاتها المختلفة، ولكني رأيت أن أنشرها وحدها . ولسوف أنشر الاقسام الاخرى مستقلة أيضاً.

ومن الضروري أن تدرس الفترة اللاحقة على سنة ١٩٦٣ دراسة وافية مستفيضة ، لأنها شهدت تطورات هامة على

الصعيدين السياسي والنظري . وهو ما لم تتناوله هذه الدراسة . ولقد حداني إلى نشر هذه الدراسة الآن ، شعوري بأن حديث القضية العربية أخذ يغيب عن مسرح البحث والحوارات النظرية في السنوات الأخيرة . وانه من الضروري أن يحتـــل مكانه المناسب من حركة فكرنا الحـــديث ، ولا يجوز أن يلهينا عنه الانشغال بالمعارك اليومية . كما لا يجوز أن يشغلنا عنه الانهماك بمعركة تحرير الأرض .

ولسوف أواصل متابعة هذه القضية من خلال السلسلة التي ستبدأ بالصدور تباعـــاً عن دار الطليعة « باسم التراث العربي الحديث » والتي ستقدم رواد الفكر القومي العربي منـــذ أوائل النهضة .

٣ / ١١ / ٧٤ **ناجي علوش**

الفَصْلُ الاوّل

نشأة الحركة القومية العربية

١٨٥٠ – ١٩٢٠

حقق بنو أمية عروبة الحكم ، ولكن ما حققوه تعرض للهدم خلال خلافة بني العباس ، فلقد أفسح هؤلاء المجال للفرس أولا ، وللأتراك ثانياً لاعتلاء كراسي السلطة، ولم يبق للخليفة بعد المعتصم الا الاسم . وقد صاحب استيلاء الاعاجم على السلطة في بغداد ، تبعثر اصاب جسم الخلافة، فأخذت الولايات تستقل ، وقامت الثورات ، التي كثيراً ما أصبحت تهـــدد بغداد . وفي مثل هذا الجو عادت الروح القبلية الى الانتشار ، وكانت القبائل تسعى نحو مزيد من الاستقلال ، على حساب السلطة المركزية او المحلية .

وحين غزا « العثمانيون » البلاد العربية ، كان يحكمها « المماليك »على الأغلب، إلا بعض الامارات العربية هنا وهناك. وقد حكمها بعد ذلك ولاة أتراك ، ممثلين للخلافة في اسطنبول .

وكان الشعور الاسلامي قوياً بعد الحروب الصليبية ، وبعد سقوط الاندلس . وقد أصبح الاسلام دين العرب ودستورهم ، وقانون معاملاتهم ، وثقافة حياتهم . ولم يكن ينازعه الا بعض العادات والتقاليد البدوية . وقد رضي العرب بخلافة بني عثمان نتيجة عوامل ثلاثة :

الأول : جمود العرب وتمزقهم .

الثاني : شعورهم الاسلامي ، واعتقادهم بأن الخلافة « اسلامية » .

الثالث : حرص العرب على الاسلام ، إزاء الأخطار التي كانت تتهددهم ، مع بداية الغزوات الأجنبية .

ولقد شجعت الأوضاع الجديدة ، التي أوجدها بنو عثمان ، على نمو الروح القبلية .

فلقد كانت الارستقراطية العربية الحاكمة ، تحتقر الأعاجم ، وكانت القبائل العربية ، حريصة ما استطاعت على عاداتها وتقاليدها ، وحريصة أيضاً على عدم الاختلاط بالأجانب ، خوفاً على أنسابها . وما زالت هذه الروح موجودة حتى الآن . ولكن هذه الروح القبلية ، لم تكن ترضى عن الاسلام بديلاً ، وإن كان البداة مسلمين على طريقتهم الخاصة .

كانت الأحداث تتوالى على السلطنة العثمانية ، وكانت تواجه الغزو الخارجي ، كما تواجـــه حركات التمرد الداخلية . وكانت الدولة تحمل بذور ضعفها في تكوينها ، فهي تمتد عبر مساحات شاسعة ، لا تربط بينها طرق مواصلات ، وتضم شعوباً مختلفة وإن كان أكثرها من المسلمين . وكان نظام الحكم يعتمـــد على انكشارية عسكرية ، والخلفـــاء لا يصلون إلى السلطة إلا عبر الشكوك والدماء . وقد رافق قيام هذه الدولة الواسعة الارجاء بدء الغزو الأوروبي للشرق، فلم يكن الروس هم الأعداء الوحيدين المتربصين على حدود السلطنة ، بل كان هنالك أيضاً البرتغاليون والاسبان والانجليز والفرنسيون الذين بدأوا يبحثـــون عن المستعمرات . وإزاء هـذا كله لم تستطع السلطنة أن تستقر . وكانت سنة ١٦٨٣ ، وهي السنة التي حـاول فيها الأتراك عبثاً احتلال فينـّا للمرة الثانية والأخيرة ، بداية تقهقر ، بعد أن ظل الأتراك مدة قرون أربعة ينتقلون من نصر إلى آخر. « كان الخط البياني لتقهقر الأتراك يسير باستمرار في خط منحدر ـ باستثناء فترات قصيرة ـ إلى أن قضي على السلطنة أثناء الحرب العالمية الأولى »[1] .

١ ـ حتي فيليب : لبنان في التاريخ ترجمة أنيس فريحة ـ اصدار دار الثقافة ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين. ط. سنة ١٩٥٦ ص ـ ٤٤٧ .

ويعطينا الدكتور فيليب حتي في كتابه (لبنان في التاريخ)، وساطع الحصري في كتابه « الدولة العثمانية والبـــلاد العربية » صورتين عن الاوضاع في البلاد العربية خلال الحكم العثماني، يمكن الإكتفاء بهما لإظهار ما وصل اليه الوضع من تفكك واحتراب واضطراب . ولقد كان من مظاهر هذا الوضع « استقلال كثير من الأسر والأمراء في المناطق التي يتمتعون فيها بالنفوذ ، فنجد آل الجبار في السلمية ـ وهم شيوخ العرب ما بين الرقة وحلب ـ وآل الحرفوش ـ وهم رافضة ـ في بعلبك ، وآل معن في لبنان، ثم خلفهم آل شهاب . وفي طرابلس آل حمادة، والأمير الحارثي بن طرباس في جبل عجلون ، وابن فروخ في نابلس ، والأمـير أحمد بن رضوان في غزة»[٢]. ويعتبر الدكتور ضياء الريس ، ان هذه ظاهرة تميز بهـــا تاريخ الشام ، في كتابه « تاريـخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير ». والواقع ان هـذه الظاهرة عمت الوطن العربي كله . وقد حفظ لنا التاريـخ اخبار الكثير من الحركات والتحالفات القبلية العربية ، التي قامت في جميـع أرجاء الوطن العربي . وكانت كل حركة من هذه الحركات تحاول أن تمد نفوذها على ما حولها، ولكنها كانت تبوء بالفشل،

٢ ـ الريس. د. ضياء ـ تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثنـــاء الدور الأخير ـ ص ـ ٧١ .

لانها ذات طابع قبلي أولاً ، ولأن الخلافة وولاتها كانوا لمثل هذه الحركات بالمرصاد . ثم ان هـذه الحركات لم تكن ذات أهداف سياسية واضحـة . وعلى الرغم من ذلك ، فهي أولى محاولات « التوحيد » التي شهدها الوطن العربي . ولم تفلح أية محاولة من هذه المحاولات في أن تحقق نصراً كبيراً ، أو تعيش عمراً طويلاً . وكانت هـذه الحركات القبلية في صراع مستمر مع الخلافة وولاتها ، وفي احتراب فيما بينها ، دون أن تحدد لنفسها دوراً سياسياً غير تحقيق النفوذ المحـلي لأمير أو قبيلة . وكان الصراع القبلي القديم بين القيس واليمن يلعب دوراً في الخصومة ، بينما كانت تلعب الطائفية دوراً آخـر . وكان من عوامل هذه الخصومات ايضاً ، تحريض اسطنبول لامـير على أمير ، ودعم الدول الاجنبية لفريق ضد فريق .

ويجب ان نقرر هنا ، ان هذه المحاولات ، جرت على الوطن العربي تدميراً للقوى ، وارتباطات بالاجانب ما زلنا نعـاني من نتائجها .

وكانت محاولة التوحيد الثـانية حركة ذات طابع ديني فكرياً ، وذات طابع عربي قبلي عملياً ، قامت بهـا حركات مختلفة أهمها الوهابية في الجزيرة العربية ، والسنوسية في ليبيا .

ولكن هذه الحركات جابهت مـــا جابهته الحركات الاولى ، فاستسلمت بعد مقاومة عنيفة . ولقد لعب محمد علي دوراً فعالاً في تحطيم حدة « الاندفاعية الوهابية » ، وقامت الخلافة العثمانية بدور مماثل . وقد حرم محمد علي الوهابية من فرصتها الذهبية ، في وقت كانت فيه قادرة على التوسع والانتشار . وحين بدأت حركتها التوسعية في أوائل هذا القرن كان الاستعمار على أهبـة الاستعداد بأسلحته الحديثة ، فحـــال دونها ودون ما تبغيه . صحيح ان الوهابية كانت حركة دينية ، ولكنها كانت حركة عربية عملياً ، وتسعى لتوحيد الوطن العربي ، قلب العـــالم الاسلامي . وكانت هذه المحاولة — لولا تدخل محمد علي والخلافة والاستعمار فيما بعد — كفيلة بتحقيق توحيد جزئي يشمل الجزيرة العربية كلها على الأقل ، ان لم يمتد إلى العراق وسوريا .

ونستطيع ان نعتبر احتلال محمد علي للجزيرة العربية والشام من محاولات التوحيد ، التي شهدها الوطن العربي ، قبـل نهاية القرن التاسع عشر . ولم تكن هـــذه المحاولة عربية من حيث الفكرة أو القيادة ، ولكن مطامح محمد علي السياسية ، قادته إلى محاولة اصطناع صبغة عربية لها ، ولعل تصريح ابنه ابراهيم الذي قال فيه : « لقـــد جئت مصر صبياً ، فلونت شمس مصر

دمي وصرت عربياً » * ، ومحاولات الاتصال التي اجراها مع بعض الزعماء القبليين ، بعض ما يدل على طبيعة هذه المحاولة . غير ان محاولة محمد علي جابهت ظروفاً مماثلة للظروف التي جابهتها المحاولات السابقة . لم تكن الخلافة هـذه المرة عاملاً معوقاً . فقد كانت من الضعف ما جعل أبواب أنقرة مفتوحة أمام جيش محمد علي الزاحف ، ولكن الاستعمار الاوروبي الطامع بتركة « الرجل المريض » ، ما كان ليرضى بقيام دولة قوية كبيرة ، في هذه المنطقة الهامة من العالم. ولقد تراجع محمد علي إزاء التدخل الاستعماري ، واكتفى بمصر له ولورثته .

ومن المؤكد ان طريق هـذه المحاولة لم يكن مفروشاً بالورود والرياحين ، فقد كانت تجابه ـ عدا الاستعمار الاوروبي والخلافة ـ أمراء وقبائل ، ما كانوا أو كانت ، ليرضوا عن قيام حكم مركزي. ولكن جيش محمد علي ، الحديث والكبير والمنظم حينذاك ، كان كفيلاً بمواجهة أوضاع كهذه . ونستطيع أن نقول بأن الوطن العربي ، خسر من جراء فشل هـذه المحاولة خسراناً كبيراً . فهذه المحاولة ، التي لم يكن وراءها غير الطموح السياسي ، كانت كفيلة ـ لو تم لها النجاح ـ بإجراء عملية توحيد

* ـ انطونيوس جورج ـ يقظة العرب ـ ص ٩٠ ـ دار العلم للملايين .

وتقدم لا نستطيع ان نجزم الآن بمدى فعاليتهما ، ولكنهما لا شك مفيدتان . ذلك ان اتجاه هذا الحكم نحو المركزية ، كان ضرورياً لمواجهة التفكك الاجتماعي والقبلية السياسية . كما ان اتجاهه نحو العلوم والمخترعات ، كان سيترك اثاره في مستقبل الايام . صحيح ان هذه المحاولة ـ لا سيما في ميدان الصناعة ـ لم تثبت قدرتها على البقاء في مصر ، ولكن الذي لا شك فيه ، انها عرفت مصر بأوروبا ، وأوجدت أسس الحركة الفكرية التي شهدتها مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وانه لمن المؤكد ان مصير هذه المحاولة كان سيختلف لو استطاعت ان تضم تحت جناحيها الجزيرة العربية والشام ، كما ان اثارها كانت ستمتد إلى هذه الاجزاء من الوطن العربي ، وهو ما لا يشك أحد في أهميته [٣].

- ٢ -

لن نتحدث الآن عن عوامل النهضة القومية الحديثة ، لوجود

---

٣ ـ الأمير مصطفى الشهابي. القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها)ـ معهد الدراسات العربية العالية ط. سنة ١٩٦١ .

عـــدد من الكتب التي تبحث الموضوع ، من وجهة نظر أو اخرى[٤] . ويمكن إيجاز هذه العوامل فيما يلي :

أولاً : حـالة الفوضى والفساد التي بلغتها الدولة العثمانية ، والحركات الاصلاحية التي قادها بعض المصلحين ، ابتـــداء من منشور « الكلخانة » سنة ١٨٣٩ حتى دستور سنة ١٩٠٨ .

ثانياً : غزوات الاستعمار الغربي التي بدأت بحملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ ، والتي أدت إلى احتلال أجزاء من البلاد العربية ، « في مسابقة الصراع من أجـل مناطق النفوذ ، ومن أجل توسيع رقعة المستعمرات ، وتأمين طريق الهند » .

ثالثاً : الحركة الثقافية التي نشأت بإنشاء المدارس ، وإرسال البعوث إلى اوروبة ، ودخول المطابع .

---

١ – أنيس صايغ أ ـ تطور المفهوم القومي عند العرب ـ دار الطليعة ط. اولى ، ص ـ ٥٨ ـ ٦٢ ـ . ب ـ الدكتور حازم نسيبة : القومية العربية ، فكرتها تطورها نشأتها ، ترجمة عبداللطيف شرارة ط. اولى ، دار بيروت ص ـ ٤٨ ـ ٧١ . جـ ـ علوش ناجي : الثوري العربي المعاصر ط. اولى سنة ١٩٦٠ ،دار الطليعة. د ـ والكتاب المذكور في هامش(٣).

- ٣ -

مر الفكر العربي والنضال العربي بمراحل ثلاث ، في بحثه عن الحرية والاستقلال :

الاولى : مرحلة الدعوة للتساوي مع الأتراك .

الثانية : مرحلة الدعوة لنظام لا مركزي او اتحادي .

الثالثة : مرحلة الدعوة للاستقلال .

وليس من السهل التمييز بين حدود المرحلتين الاوليين، ذلك انهما تشابكتا وتداخلتا . أمـــا المرحلة الثالثة فقد بدأت مع المؤتمر العربي الاول ، وتحققت بالثورة العربية سنة ١٩١٦ .

وكانت المرحلة الثانية ممهدة للمرحلة الثالثة ، لان الدعوة للامركزية كانت تقوم على أساس اعتبار الدولة العثمانية مؤلفة من مجموعـة من الامم ، وان العرب فيها أمة واحدة يجب أن تحتل مكانها .

وظهرت هـــذه « المراحل » في محاولات تعريف الامة ، وتحديد المضمون السياسي لها . فالامة عنـد أديب إسحق هي « الجماعة المتجنسة جنساً واحداً ، الخاضعة لقانون واحد » ، أما

وحدة الجنس هذه فهي « اتفاق الجماعة على الاعتزاء إلى جنس واحد يتوالدون فيه ، ويتسمون به كالجنس الاميركاني لسكان الولايات المتحدة الاميركية سواء كانوا انكليزاً وفرنسويين أو اسبانيين او أميركانيين أصلاً ، والعثماني لسكان البلاد العثمانية في أوروبة وآسيا كانوا تركاً أو عرباً أو تتراً أصلاً » . وينفي أديب أن تكون اللغة « من لوازم وحدة الامة » ويعتبر ذلك وهماً [٥] . ولم يحل هذا التعريف غير القومي للأمة دون أديب إسحق وإطلاق مثل هذه الصيحة سنة ١٨٨٠ : « وإلا فما للحجاز محجوز الانوار ، وما للشام مشؤوم الاحوال ، ولمصر مقرونة الطالع بالعسر ، وما للعراق مؤذن العز بالفراق ، وما لحلب متوالية النوب ، وما لليمن فاقد اليمن ، وما لتونس عديمة الانس ، وما للمغرب منهمل الغرب ؟ ألم يكن في كل هذه الاقطار نفر من أولي العزم تبعثهم الغيرة او الحمية على جمع الكلمة العربية ، فيتلافون احوالها قبل التلاف ، متظاهرين كالبناء المرصوص ، أو كصخور تلاحمت فصار ركامها جبلاً حصيناً ، لا تؤثر فيه العواصف ، ولا تضعفه الزلازل »[٦] .

---

٥ — علوش ناجي : الثوري المعاصر ـ ص (١٧٤ ـ ١٧٦) .

٦ — اسحق أديب : الدرر .

وتقدم الكواكبي خطوة على هذه الطريق ، فدعا « للاتحاد الوطني » القائم على « الوفاق الجنسي » وضرب مثلاً لذلك أمم استراليا وأميركا. وقد بحث الكواكبي موضوع الامة أو الشعب في مبحث من كتابه « طبائع الاستبداد » بعنوان « مبحث ما هي الامة أي الشعب » وقد بدأ هذا المبحث بالسؤال التالي : « هل هي ركام مخلوقات نامية ، أو جمعية عبيد لمالك متغلب ، أم هي جمع بينهم روابط جنس ولغة ووطن وحقوق مشتركة؟ »[٧]. ولقد اعتقد الكواكبي بان مواجهة مشاكل العالم الاسلامي تقتضي اعادة الخلافة إلى عربي من قريش ، ونقل عاصمة الخلافة إلى مكة . دون أن يتنكر لمبدأ الجامعة الاسلامية[٨]. وكانت دعوته للتفريق بين السلطات « السياسية والدينية والتعليم » من أخطر ما طرح في تلك الفترة .

وصدر سنة ١٩٠٥ كتاب بالافرنسية لنجيب عازوري أسماه « يقظة الامة العربية في آسيا التركية »، يحث العرب على استرداد حقوقهم ، ويدعو إلى « انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية ، على أن يكون الحجاز مقراً لخلافة اسلامية عربية

---

٧ – الكواكبي عبدالرحمن : المرجع السابق : ص – ١٢٠ –

٨ – نسيبه حازم : القومية العربية : ص (٦٢ – ٦٣ – و ١٤٤).

واحدة ، وان تتكون من العراق وسورية ولبنان وفلسطين دولة عربية واحدة عصرية »[٩]. وأصدر عازوري أيضاً سنة (١٩٠٧) مجلة بالافرنسية سماها « استقلال العرب » . ويذكر الامير مصطفى الشهابي ان نشاط عازوري لم يكن له أثر في الوطن العربي ويجزم « ان كتاب عازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية ، ولا عند أحد ممن ألفوا عقب اعلان الدستور العثماني الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة ».[١٠] وسنة ١٩٠٧ بالذات اصدر رفيق العظم كتابه « الجامعة الاسلامية وأوروبا » مؤكداً على الحقائق التالية :

أولاً : اولوية « رابطة الجنس والوطن » تليها رابطة « العصبية الدينية » . « وقل ما جمع الدين كلمة أهله باجمعهم الا في الشاذ النادر ، اللهم إلا في العواطف دون الفعل ، فقد يتألم مسلم الغرب لمسلم الشرق اذا أصيب بمصيبة كبرى فلا يتعدى المه هذا دائرة الشعور »[١١].

---

٩ – الحصري ساطع: محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص-١٧٠ .

١٠ – القومية العربية للشهابي ص – ٥٩ – .

١١ – العظم رفيق : الخلافة الاسلامية وأوروبا – ص – ٤ – .

ثانياً : ان اختلاف الأديان أو الاعتقادات لا يكون « مانعاً من توثيق عرى القومية، أو مبايناً أغراضها السياسية »[١٢].

ثالثاً : أما « الجامعة الاسلامية » فما هي الا «الاعتصام بجامعة كبرى تقابل اجتماع الدول المسيحية على اهتضام حقوق الأمم الاسلامية »[١٣].

وهكذا يؤكد رفيق العظم على الدعوة القومية ، محـــولاً الجامعة الاسلامية إلى حلف . وهنـــا يتجاوز الذين سبقوه ، واضعاً اسلم تحـــديد انذاك لموقف العرب القومي والسياسي في معركة تحقيق الذات والحرية .

وهكذا نجـد ان الانقلاب الدستوري حدث سنة ١٩٠٨ ، وما زالت الحركة العربية في أول نشاطها .

- ٤ -

أنشئت في بيروت سنة ١٨٤٧ جمعية ثقافية، سميت « الجمعية

١٢ – المصدر السابق ، ص – ٥٠ – .

١٣ – المصدر السابق ، ص – ٨ و ٩ – .

العلمية السورية » وكانت اشبه ما تكون بناد مختلط يشترك فيه عرب وأجانب ، وكان العرب جميعاً من المسيحيين ، وأبرزهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني . وكانت الهيئة الإدارية لهذه الجمعية تنتخب سنوياً بالاقتراع السري . وقد عاشت خمس سنوات (٤٧ ـ ٥٢) عقدت خلالها ثلاثاً وخمسين جلسة ، ألقيت خلالها محاضرات وخطب ، وجرت مناقشات . ومن المحاضرات التي ألقيت محاضرة لبطرس البستاني « تعليم النساء» ، وأخرى لناصيف اليازجي بعنوان « علوم العرب » .

وأعاد الامير محمد الامين أرسلان تأسيسها سنة ١٨٦٨ ، واستطاع ان يحصل لها على إجازة من راشد بك والي سورية ، كشركة مركبة من أعضاء مختلفة محلية وغير محلية بما يقتضى لانتشار المعارف من علوم وفنون » . وعلى الرغم من ان الامير محمد الأمين ارسلان قد حدد هدف الجمعية بقوله : « يراد منها نشر العلوم والفنون والاشتغال فيما ينفع العموم دون التعرض لشيء من الامور الدينية أو الدولية » فقد أشار الخطباء في حفلة الافتتاح إلى « فضل العرب على العلوم ، وانهم هم الذين أدبوا العلوم وهذبوا الفنون » . وقالوا : « ان من واجب العرب ان يستعيدوا مجدهم بعد أن أصابهم ما أصابهم بسبب الكسل

والملل ، وعليهم ان يعولوا على أنفسهم . وخير طريق لتحقيق هذه الغاية هو تشييد المدارس والمكاتب وعقد الاجتماعات العلمية » . « والجمعيات العلمية معامل العلوم ومصانع الفنون ، ومعرض الآداب » . ومن المحاضرات التي ألقيت فيها، محاضرة لإسبر شقير بعنوان « الجمعيات وفوائدها » وأخرى لإبراهيم ثابت بعنوان « الحاجة إلى التمدن والتقدم » وثالثه لعبدالله صوصه بعنوان « في التربية العمومية » وهناك محاضرات أخرى في التجارة والصناعة والزراعة وجغرافية سورية وتاريخها . وقد مثلت فيها ثلاث مسرحيات[١٤].

وقد ضمت هذه الجمعية أكثر من مائة وخمسين عضواً ، دون اعتبار لطوائفهم . وكان بينهم اثنان من مصر هما سليمان وأحمد أباظة .

وتعود أهمية هذه المنظمة إلى سببين : الاول ، كونها المنظمة الأولى ، التي نشأت في عهد النهضة ، يحدوها حافز التقدم ، وان لم تكن لها أهداف سياسية واضحة .

---

١٤ – الدكتور الغرايبة عبدالكريم : سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠ - ١٨٧٦) معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ص - ٢١٥ - ٢٢١ .

والثاني : التقاء نفر من الشباب، من خلالها، داعين لاستعادة مجد العرب ، والتحرر من الأتراك ، وكان من هؤلاء إبراهيم اليازجي صاحب القصيدتين المشهورتين : « تنبهوا واستفيقوا أيها العرب » و « دع مجلس الغيد الاوانس »[١٥].

ونشأت حوالي سنة (١٨٨٠) جمعية سرية، ألصقت مجموعة من النشرات على الجدران ، « جاء في احداها ذكر لمساوىء الحكم التركي ، ومحاولته القضاء على اللغة العربية ، واغتصاب الترك الخلافة من العرب »[١٦]. وقد حددت هذه الجمعية أهدافها بما يلي :

١ ـ منح الاستقلال لسورية متحدة مع لبنان .

٢ ـ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

٣ ـ الغاء الرقابة وغير ذلك من القيود المفروضة على حرية الرأي ونشر المعرفة .

٤ ـ استخدام وحدات الجند المحلية في الخدمة العسكرية المحلية دون سواها .

---

١٥ ـ الشهابي مصطفى : القومية العربية ـ ص ٤٥ ـ ٤٧ ـ .

١٦ ـ المصدر السابق ص ـ ٤٨ ـ وتاريخ سورية في القرن التاسع عشر ص ـ ٢٢٣ ـ .

ولم تعمر هذه الجمعية طويلاً ، وقد انحلت سنة ١٨٨٣ ، على ما يراه الدكتور عبدالكريم الغرايبة في كتابه « سورية في القرن التاسع عشر »[١٧].

ويجب أن نلاحظ ان هذه الجمعية التي تحدثت نشراتها عن «اغتصاب الترك للخلافة من العرب» « وعن محاولتهم القضاء على اللغة العربية » ترفع شعار « استقلال سورية متحدة مع لبنان ».

وقد أنشىء في بيروت عدد من الجمعيات خلال هذه المرحلة نذكر منها الجمعية الادبيـــة في طرابلس (١٨٥٠ - ١٨٧٦) والجمعيـــة العلمية في المدرسة الكلية (١٨٦٦) ، وجمعية زهرة الآداب في بيروت (١٨٧٣) والجمعية التاريخية السورية في دمشق (١٨٧٥) وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت(١٨٧٨) . ولكن أهم ما نشأ خلال هـــذه الفترة هو حلقة الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . ولقد كانت حلقة ثقافيـــة ، تضم عرباً وأتراكاً، وكان لافرادها صلة برجال « تركية الفتاة ». وانبثقت من هذه الحلقة ، حلقة أخرى عرفت بحلقة دمشق الصغيرة سنة

---

١٧ - يعتقد بأنها انشأت سنة ١٨٨٢ . وهذا غير صحيح لأن مناشيرها أرسلت الى لندن قبل هذا التاريـخ .

(١٩٠٣) . وكانت هذه الحلقة تعمل في العلن لدراسة العربية وآدابها ودراسة التاريخ العربي، وانشاء دور المطالعة والمدارس، وفي السر لبعث الامة العربية . ولما كانوا يدركون ان هذا العمل يحتاج إلى زمن طويل ، رفعوا شعارات سياسية محددة اقتصرت على مطالبة الدولة العثمانية بتحقيق اللامركزية وضمان حقوق الأمة العربية. وانشأ اثنان من رجالها في اسطنبول مع عبدالكريم الخليل سنة (١٩٠٦) « جمعية النهضة العربية » ، ولكن مقرها ظل في دمشق . وكان لهذه الجمعية أثرها في العمل القومي فيما بعد ، عن طريق رجالها الذين ساهموا في مختلف النشاطات القومية .

وحدثت سنة ١٩٠٨ حركة جماعة الاتحاد والترقي ، ففرح بها العرب كثيراً ، على أمل ان تحقق لهم آمالهم في التقدم والإصلاح . ومنذ سنة ١٩٠٨ بدأت تنشأ مجموعة من الجمعيات السياسية ، نذكر منها « جمعية الاخاء العربي » ، و « الجمعية القحطانية » و « المنتدى الأدبي » و« العربية الفتاة » و « حزب العهد » وحزب « اللامركزية العثماني ». وكانت أهداف هذه الجمعيات تنحصر في المطالبة بالاصلاح واللامركزية . لم تكن

هنالك منظمة واحدة تدعو للانفصال عن الدول العثمانية [١٨] .

وكان من نتيجة النشاطات القومية خلال السنوات التالية ان عقد « المؤتمر العربي الاول » في باريس ما بين ١٨ و ٢٣ حزيران سنة ١٩١٣ . والحقيقة ان هذا المؤتمر حدث قومي كبير . فلقد أعلن فيه ولأول مرة ان العرب امة تامة . قال عبدالغني العريسي « هل للعرب حق جماعة » ؟ وأجاب : « ان الجماعات في نظر علماء السياسة لا تستحق هذا الحق إلا إذا جمعت على رأي علماء الالمان وحدة اللغة ووحدة العنصر ، وعلى رأي علماء الطليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب ساسة الفرنسيس وحدة المطمح السياسي . فإذا نظرنا إلى العرب من هذه الوجوه الثلاثة علمنا ان العرب تجمعهم وحدة لغة ، ووحدة عنصر ، ووحدة تاريخ ، ووحدة عادات ، ووحدة مطمح سياسي . فحق العرب بعد هذا البيان أن يكون لهم على رأي علماء السياسة دون استثناء حق جماعة ، حق شعب ، حق امة » . وأردف بعد ذلك قائلاً : تتساءلون عن ماهية هذا الحق لجماعة الامة العربية ، فبياناً لهذا الحق أقول : « اول حق لجماعة الشعوب حق الجنسية » .

---

١٨ — الشهابي مصطفى ، المرجع السابق ص - ٦٨ - ٨٣ .

ولقد طالب المؤتمر بالاصلاح على قاعدة اللامركزية ، ولكن المطالبة هذه المرة لم تكن دون شرط . ولاول مرة يكون الشرط هاماً ، انه الانفصال . قال العريسي : « وانه لا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هـذه السلطنة ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة . فارتباطنا بهـذه الدولة يتراوح إذا بين ضمان هذه الحقوق فإن كثر فكثر وان قل فقل[١٩].

ولاول مرة يعلن يمثل هذا الاجماع « ان الرابطة الدينية قد عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية »[٢٠].

وعنـد دراسة محـضر جلسات المؤتمر وقراراته نخرج بالملاحظات التالية :

أولاً : أكثر المؤتمرون من ترديد كلمة سورية والسوريين ، على الرغم من انهم جميعاً اعتبروا انفسهم « أبناء السلالة العربية المجيدة » واعتبروا ان مؤتمرهم جـاء « مذكراً للأمة العربية في جميع الأقطار بأن لها وجوداً قومياً ، وان لها حقوقاً سياسية

---

١٩ - المؤتمر العربي الأول - صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر سنة ١٩١٣ ص (٤٢ - ٥٠) .

٢٠ - المصدر السابق - ص ٢٠ .

وأدبية واقتصادية ، وانهامهضومة هذه الحقوق عند دولتها[٢١]».

ثانياً : اعتبر المؤتمر مصر خارج نطاق عمله ، على الرغم من انه اعتبر نفسه حركة عربية ، واعتـــبر مصر عربية عثمانية . ويبدو ان كون مقر حزب اللامركزية في القاهرة كان له أثر على موقف رئاسة المؤتمر .

ثالثاً : لم يحضر المؤتمر ممثـلون عن المغرب العربي والجزيرة العربيـة . وكانت البرقيات التي وصلت المؤتمرين من مصر ، من سوريين مقيمين فيها .

رابعاً : كانت اكثر البرقيات الواردة للمؤتمر من مدن الشام (سورية ولبنان وفلسطين) ومن المهاجر . ولم تصل إلا برقيتان من العراق ، الاولى من بغداد والثانية من البصرة . كما وصلت برقية واحدة من الجزائر من الامير خالد حفيد الامير عبدالقادر .

خامساً : لم يتحـول المؤتمر إلى منظمة سياسية ، ولم تكن الحدود التي فرضها المؤتمرون على أنفسهم بشأن التعـــامل مع الأتراك كافية لجعل المؤتمر فعالا .

---

٢١ – المصدر السابق ص ـ ب ـ من المقدمة .

٢٢ – المصدر السابق ـ ص ـ ١٩٦ .

سادساً : كان المؤتمر يضم اتجاهات مختلفة ، وهـذا ما يبدو في المحاضرات التي ألقيت فيه .

ولقد جرت مفاوضات بين جماعة الاتحاد والترقي وممثـلي المؤتمر أدت إلى عقد اتفاق ، ولكن الحرب لم تلبث ان قامت فاعتقل الاتراك الزعماء الذين استطاعوا اعتقالهم ، وبعد محاكمات صورية أعدم اكثرهم ، وكان من بين هؤلاء عدد من أعضاء المؤتمر.

- ٥ -

حين بدأت الحرب العالمية الاولى ، انتقم جماعة الاتحـاد والترقي من دعاة الاصلاح العرب ، وارتفعت أعواد المشانق في بيروت ودمشق ، ليعلق عدد من قادة الحركة العربية . وكانت هذه الحادثة مع ما سبقها منـذ سنة ١٩٠٨ من استفزازات قومية ، أكبر حافز لقادة الحركة العربية على التفكير بالانقلاب على الاتراك .

وكان شريف مكة رجلاً طموحاً ، يحلم بملك طويل عريض. وقد جرى بين بعض رجـال الحركة العربية وبينه اتصال عن

طريق ابنه فيصل . وكان الانجليز قد اتصلوا به منذ سنة ١٩١٢ كما اتصلوا بحزب اللامركزية في مصر . وفي مارس سنة ١٩١٥ أبرق الشريف حسين إلى اسطنبول بما يلي : « ان خروج الدولة العثمانية منصورة من الحرب الحاضرة ، يتـــوقف على اشتراك العناصر العثمانية فيهـــا ، ولا سيما العرب ، والجانب الاهم من ميادين القتال في بلادهم ، وتأييدهم لها قلباً وقالباً في نضالهم .

ويلوح لنا، ان ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه، الذي جرحه اتهام عدد كبير من أبنائه ، بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم أمام المحاكم العسكرية ، بالدواء التالي :

١ ـ اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢ ـ انالة سورية ما تطلبه من نظام لامركزي .

٣ ـ جعل امـــارة مكة وراثية في أولادي ، وإبقائها على على حالتها الحاضرة .

فإذا قبلت هـــذه المطالب ، فاتعهد بحشد القبائل العربية بقيادة أبنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ؟ وإذا لم تقبل فأرجوكم الا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتهـــال للحق ، جل

وعلا ، بأن يهب الدولة النصر والتوفيق [٢٣] .

وجاءه الرد قاسياً ، فصمت الحسين ، ولكنه ارسل ابنه فيصل إلى دمشق والاستانة لدراسة الاحوال والاتصال برجال الحركة العربية . وفي دمشق اجتمع فيصل بعدد من رجال الحركة العربية حددتهم له « العربية الفتاة » . ومن هؤلاء ياسين الهاشمي ممثلاً عن حزب العهد ، ورئيس أركان حرب الفيلق التركي الثالث عشر المرابط في الشام ، وعلي رضا باشا الركابي رئيس بلدية دمشق وممثل العربية الفتاة ، والشيخ بدر الدين الحسني كبير محدثي الشام ، وممثل علمائها ، ونسيب بك الاطرش من كبار شيوخ الدروز ، ونواف الشعلان رئيس عشائر الرولة . وقد وعده هؤلاء بالتأييد الشامل . وعند عودة فيصل اجتمع الحسين وأبناؤه وقرروا اعلان الثورة على الاتراك بالاتفاق مع الانجليز . وعاد فيصل إلى الشام ليكون رهينة عند جمال وليجري اتصالات مع رجال الحركة العربية ، وبدأ أبوه الاتصال مع الانجليز . وقد عرض عليهم مشروع اتفاق جاء فيه : لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء ، قرروا في الاعوام الاخيرة أن

---

٢٣ — سعيد، امين : اسرار الثورة العربية الكبرى ، ومأساة الشريف حسين ـ دار الكاتب العربي ، ص ـ ٥٢ .

يعيشوا ، وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظرياً وعملياً بأيديهم. ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا، ان من مصلحة حكومة بريطانيا ان تساعدهم وتعاونهم ،للوصول إلى امانيهم المشروعة ، وهي الاماني المؤسسة على بنـاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم .

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا حكومة بريطانيـا عن اية حكومة احرى ، بالنظر لمركزهم الجغرافي ، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا .

وبالنظر لهـذه الاسباب كلها ، يرى الشعب العربي ، انه من المنـاسب ان يسأل الحكومة البريطانية ، إذا كانت ترى من الموافق ان تصادق بواسطة مندوبها أو ممثليها على الاقتراحات الأساسية التالية » .

وحددت المذكرة الاقتراحات ، التي يمكن إيجازها بما يلي :

١ ـ اعتراف بريطانيا باستقلال البـلاد العربية « من اضنة حتى الخليج الفـارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ، ومن البحر الاحمر والبـحر المتوسط حتى سيناء غرباً » .

٢ ـ « تعترف حكومة الشريف العربية ، بأفضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية ، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية » .

٣ ـ « يجب على انكلترا ان تعترف بإلغاء الامتيازات الاجنبية في البلدان العربية ، وان تساعد حكومة الشريف في مؤتمر دولي لتأكيد هذا الإلغاء » .

وقد اجاب مكماهون على هذه المذكرة ، فأكثر من التبجيل ثم اكد للحسين « اعتراف انكلترا باستقلال البلاد العربية وسكانها » وموافقتها « على ان يكون الخليفة عربياً » ، « عريق العروبة » ، وحاول ان يتهرب من بحث موضوع الحدود بحجة انه سابق لأوانه . ودارت بين الشريف ومكماهون مساجلات ، كشفت بريطانيا فيها تحفظاتها بشأن « مرسين واسكندرون وبعض الاقسام السورية ، الواقعة غرب حمص وحماه وحلب » التي « لا يمكن ان يقال انها عربية محضة » ، و « ولايتي البصرة وبغداد » . وقد اعلن الشريف حسين « الثورة » في ١٠ حزيران ، وتحفظات بريطانية واضحة امام عينيه . وليبرر ما قام به اصدر منشوراً يمكن تحديد المواضيع الاساسية فيه بما يلي :

أولاً : انحراف الاتحـاديين عن صراط الدين ، وطعنهم في الاسلام وتجرؤهم على السيرة النبوية والخلفاء الراشدين .

ثانياً : اشتراكهم في حرب اوروبيـــة ووقوفهم بالدولة موقف الهلكة .

ثالثاً : اصدار اوامرهم للجنود في مكة بجعل الصلاة والصوم اختياريين .

رابعاً : اغتصاب صلاحيات السلطان الشرعية .

خامساً : اضطهاد العرب ومحاربة اللغة العربية .

ويذكر المنشور الحديث المعروف : « إذا ذلت العرب ذل الاسلام »، بينما يعتبر الثورة واجباً دينياً من الواجب على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يقدموا اليها ما يساعد على احكام روابط الاسلام[٢٤] .

لقد اشتركت عوامل أربعة في احـــداث الثورة ، اولها : أوضاع الدول العثمانية وطموح العرب إلى الاستقلال . وثانيها : طموح رجال الحركة العربية ، وثالثها طموح الشريف حسين ،

---

٢٤ – امين، سعيد : أســرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص – ٩٩ – دار الكاتب العربي .

ورابعها : مساعي الانجليز . وقد التحق عدد من رجال الحركة العربية بالشريف حسين ، واشتركوا في اعداد جيش حديث ، وفي بناء الدولة ، وكان من هؤلاء القـــائد عزيز علي المصري ، ولكنهم كانوا العنصر الاضعف في الدولة الجديدة ، التي اعتمدت على الشريف وأبنائه والعشائر المؤيدة لهم أساساً .

والواقع ان « الثـورة العربية » لم تستطع ان تكون شاملة للاسباب التالية :

أولاً : كانت عقلية الحسين تقليدية ودينية ، لا تستطيع ان تستوعب فكرة العروبة بالمعنى الذي كان يتحدث عنه رجـال الحركة العربية .

ثانياً : لم تحصل الحركة إلا على بعض التـــأييد في سورية والعراق وفلسطين ولبـــنان ، بينما قاومها كثير من رجال الدين والمثقفين وبعض القبائل بتهمـة خروجها على الدولة الشرعية ، والعمل لمصلحة دولة اجنبية .

ثالثاً : حصرت الحركة مطاليبها باستقلال الجزء الآسيوي من الوطن العربي دون الجزء الافريقي .

ولقد فشلت « الثورة » بعد ذلك ، وفشل الشريف حسين ، ونجح الاستعمار .

وقصة فشل هذه «الثورة» هي قصة فشل «الحركة العربية». لقد كانت امتحاناً لها ، وكان هذا الامتحان حاسماً . فالحركة العربية التي قضى المثقفون سنوات في انشائها، لم تكن بعد قادرة على تحريك الرأي العام العربي وقيادته . وبينما استطاع مصطفى كمال ان يقود تركيا ضد الغزو الاستعماري بنجاح ، اثبت قادة الحركة القومية عجزهم ، واكتفوا من المطالب القومية بالتحلق حول الملك فيصل ، صديق الانجليز العاجز الفاشل .

- ٦ -

ان الحزب الوحيد من بين الحركات التي عرفها الوطن العربي بعد ١٩٠٨ ، الذي عاش حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى كان حزب « العربية الفتاة » . ولقد أصبح « حزب الاستقلال » خلال الحكم الفيصلي في سورية ، ولكنه تبعثر بعد ذلك .

وكان المؤتمر السوري اهم احداث هذه الفترة ، فلقد اجتمع بعض رجال الحركة في النادي العربي بدمشق في السادس والسابع

من آذار سنة ١٩٢٠ ، واتخذوا مجموعة من القرارات ، نوجزها فيما يلي :

١ — « استقلال سورية الطبيعية استقلالا تاماً » .

٢ — « تكون الحكومة مدنية نيابيـــة لا مركزية تضمن حقوق الاقليات » .

٣ — « تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في ادارة شؤون لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العالمية الاولى ، على ان يكون بمعزل عن كل نفوذ اجنبي » .

٤ — « المطالبة باستقلال العراق على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي واقتصادي » .

٥ — « ينادى بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سورية » .

٦ — « شجب محاولات الصهيونيين لاقامـة وطن قومي في فلسطين » .

ولقد كان هذا المؤتمر — على اهميته — تراجعاً كبيراً . فالحركة العربية التي جلجلت باسم الوحدة العربية في المؤتمر العربي الاول ، والتي ساهمت في « الثورة العربية » املاً في قيـــام دولة عربية متحررة تشمل المشرق العربي كله ، رضيت من الغنيمة بدولة في سورية ولبنان وفلسطين ، متحدة مع العراق اتحاداً عند استقلاله .

ولقد بويع فيصل في الشام ، والحسين ملك العرب في الحجاز ، وقائد « الثورة العربية » يتسنم عرش ملكه .

ولقد كانت الرياح تجري بما لا تشتهي سفن الحركة العربية ، اذ ان بريطانيا احتلت فلسطين والعراق، واحتلت فرنسا لبنان، ثم تقدمت إلى سوريا، وسقط فيصل ، ثم سقط الشريف حسين. وتبعثر رجال الحركة العربية هـذه المرة ، وانتهت جمعياتهم واحزابهم، ليصبح اكثرهم بطانة لملك العراق فيصل بن الحسين، الحاكم باسم بريطانيا سعيداً .

- ٧ -

ما الذي حققته الحركة العربية خلال هذه الفترة ؟

انه مفهوم القومية العربية ، الذي يستهدف وحدة العرب وحريتهم . وهو مفهوم كان واضحاً من الناحية النظرية ، ولكنه لم يكن عميقاً وشاملاً من الناحية العملية ، فهو لم يتجسد في مؤسسة قومية واحدة ، ولم يلق تجاوباً عاماً في الاقطار العربية

كلها . ما اسباب ذلك ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه . واني اعتقد ان هنالك عدداً من الأسباب التاريخية العميقة الجذور ، وهذه الاسباب هي :

أولاً : ان القبلية الجاهلية لم تتلاش مع الاسلام . ولقد عاشت بعده ، وجاءت عصور الانحطاط لتزيدها قوة . ولقد ظلت القبائل الرحالة منها وغير الرحالة تحكم الوطن العربي من خلال استقلالها في مناطق اقامتها ، ولم تستطع الدولة العثمانية ان تغير من هذا الواقع . ولذلك ، فقد ظل الصراع بين القبائل يسود انحاء الوطن العربي ، وتحدثنا كتب التاريخ عن هذه الصراعات ، التي لم تتضاءل إلا مع سيطرة الاستعمار الانجليزي والفرنسي على اجزاء وطننا . وكان الصراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، أو القيس واليمن ، أوسع هذه الصراعات . وعلى الرغم من ان جذور هذا الصراع تمتد إلى العهد الاموي ، فإن اجدادنا وآباءنا عاشوا آخر فصوله . كانت القبائل دائماً ضد السلطة ، وكانت دائماً تبحث عن التوسع والنفوذ ، وتعيش حياة كفاف ، فهي لذلك ضد الدولة ، وضد الوحدة القومية .

وان هذه الروح القبلية ، كانت سائدة حتى في أوساط الفلاحين ، وسكان المدن إلى حد .

ولم تكن قد مسّت هذه الروح ريح التطور في الفترة التي أرخنا لها .

ثانياً : ان الاسلام ، وإن كان عربي اللغة ، فهو داعية تفاهم ومساواة بين الداخلين فيه ، عرباً وعجماً . الناس في الاسلام اثنان مسلم وغير مسلم . والاسلام لهذا يرفض « القومية » .

ولقد كان العرب يُدلون بعروبتهم ، ولكنهم كانوا يعتبرون المسلمين من غير العرب اخوة لهم . ولقد أججت الحروب الصليبية ثم غزوات الاستعمار الحديث هذه الروح . ولقد اختلط تاريخ العرب وامتزجت ثقافتهم بالاسلام ، حتى اننا نستطيع ان نقول ليس للعرب قبل الاسلام غير بعض الاخبار والقصائد والآثار . ولم يعرف العرب خلال تاريخهم معنى لكلمة الامة الحديث أو لكلمة الوطن . وكانت قوانينهم التي يتعاملون بها اسلامية .

ثالثاً : لم تتحقق وحدة الوطن العربي بعد سنة (٨٠٠) ، فلقد عملت « الثورات » وحركات العصيان على قيام أنظمة حكم مختلفة بعد خلافة هارون الرشيد . وكان من نتيجة ذلك ان نشأت أوضاع محلية مختلفة إلى حد . وعندما احتل العثمانيون البلاد العربية ، جعلوا منها ولايات ، يحكم كلاً منها وال ، مستقل

عن زميله وجاره ، ومختلف عنه في كل شيء إلا في اضطهاد الجماهير .

وكانت الدولة العثمانية ،تعترف ببعض الامراء عندما يحققون سلطة ونفوذاً ، وتخلع عليهم القاب الولاية وما شابه ، لا لشيء لأنهم يقدمون الهدايا والاموال للسلطان .

أوضاع مثل هـــذه كانت من مكونات الكيانات السياسية الحديثة في الوطن العربي .

رابعاً : ان سعة رقعة الوطن العربي، وامتداد الصحارى بين أجزائه ، وعـدم وجود مواصلات منظمة ، اوجد بقعاً سكانية متقاربة ، فهناك سورية ، وفلسطين ولبنان ، وهناك العراق ، وهناك الجزيرة العربية ، وهناك مصر ، وهناك المغرب . ومـا زالت مشكلة المواصلات غير محلولة .

خامساً : ومع نهاية الثلث الاول من القرن الماضي ، كانت الغزوات الاستعمارية ، تبتلع الجزء بعد الجزء من الوطن العربي ، فما كانت سنة ١٩١٨ ، حتى كان الاستعمار شاملا تقريباً . وكان وجود الاستعمار واختلاف المستعمرين يؤدي إلى وجود أوضاع مختلفة. ذلك ان وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والانجليزي في مصر ، ساعد على خلق روح اسلامية ، بيـــنما ساهم وجود

الاستعمار التركي في اجزاء اخرى من الوطن العربي على تنمية الروح العربية . ولقد حافظ الاستعمار على المؤسسات الاجتماعية المعادية للتطور كالقبلية والاقطاعية ، وشجع النعرات الطائفية والاقليمية .

سادساً: كان لاختلاف المذاهب الدينية اثر في توزع الولاءات في الوطن . ولا بد من ان نذكر في هذا المجال الصراع السني – الشيعي الذي بدأ منذ ثلاثة عشر قرناً تقريباً . ولقد اتجه ولاء السنة السياسي إلى الاستانة خلال الحكم العثماني ، بينما اتجه ولاء الشيعة إلى طهران . ولقد اضطهد الشيعة كثيراً ، وخلال عهود طويلة . اما النصارى فقد اتجه ولاء بعضهم إلى الغرب .

لم يكن مستغرباً والحالة هذه ، ان تكون الحركة العربية ضعيفة ، ومحصورة عملياً في بعض المثقفين من ابناء العائلات الكبيرة ، الذين درسوا في الآستانة وباريس . ولم يكن غريباً ايضاً ان تلجأ الحركة الى الشريف حسين في جو مثل هذا الجو . ولم يكن غريباً ان تخسر معركتها الكبرى الاولى ، بفشل « الثورة العربية » ما دام الوطن العربي نفسه لم يكن مهيأ لثورة قومية .

ولكن ماذا مثلت الحركة العربية خلال هذه الفترة ؟

لقد كانت ولا شك على اختلاف تياراتها تمثل في كل مرحلة من مراحلها ، محاولات للتخلص من الاستعمار ، سيان بمطالبتها بالمساواة مع الأتراك ، او بعملها من اجـــل اللامركزية ، او بخروجها عليهم .

ولقد كانت هذه الحركة ايضاً تطرح شعارات ديمقراطية ، مشبعة بروح الثورة الفرنسية . ولا بدع ، فهي ثورة بورجوازية روحاً ، وبرجوازية من حيث الاداة ، لانها تكونت من مثقفين وعسكريين ينتمون إلى العائلات العربية الكبرى ، ويؤمنون بضرورة حضارة الغرب الصناعية ، وان كانوا غير قادرين على الافلات من هيمنة تراثهم وتاريخهم .

ان هذا الاتجاه القومي ، لم يكن يساراً ثورياً ، مثل اليسار الفرنسي ، بل كان يساراً اصلاحياً قنوعاً خنوعاً يتحول بسهولة إلى بطانات للملوك ، ويتعامل بسذاجة مع قوى الاستعمار ، ومع ذلك فقد فقد بعض قادته ارواحهم من اجل قضيتهم .

ونلاحظ بتتبعنا لتطورات الحركة العربية ما يلي :

أولاً : انها نمت في ظل مجموعة متلاحمة من الظروف السلبية ، المفرقة للجماهير ، المبلبلة للافكار . وكان لهذا كله اثر حاسم في تكوينها ، ما زلنا نعيش عواقبه .

ثانياً : انها – نتيجة اوضاع اجتماعية معينة – وتحت تأثير الاسلام ، اتجهت اتجاهاً مثالياً وعظياً .

ثالثاً : انها دعت لقيام حكم ديمقراطي مدني ، ولكنا القت نفسها في حضن الشريف حسين ، في مرحلة من المراحل ، وفي حضن ابنه فيصل في مرحلة اخرى ، مع انهما يمثلان العقلية العشائرية المحافظة .

رابعاً : انها دعت الى وحدة عربية شاملة نظرياً ، ولكنها ساومت على وحدة جزئية تشمل المشرق العربي اولا ، ثم قبلت بوحدة سوريا وفلسطين ولبنان ، وعندما سقط الحكم الفيصلي في الشام ، قبل اكثر رجالها ان يتحولوا بطانة لفيصل ملك العراق ، الذي كان « يعدد اياماً ويقبض راتباً » .

خامساً : وانها تبعثرت بعد الاحتلال البريطاني الفرنسي ، ولم تستطع ان تمارس عملاً شعبياً وحدوياً ، في أشد اوقات الحاجة اليه .

ان لهذه المرحلة اهمية خاصة في تاريخنا لانها المرحلة التي تكونت فيها براعم وعينا القومي والسياسي .

الفصل الثاني

الثورة العربية سنة ١٩١٦

تقتضي دراسة الثـــورة العربية الكبرى ، التي اعلنها الشريف حسين يوم العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ دراسة العوامل الخارجية والداخلية التي احاطت بها ، فحددت خط سيرها .

ويمكن ايجاز هذه العوامل فيما يلي :

اولا : العوامل الخارجية :

أ ـ قضية العلاقة بين الاتراك والعرب .

ب ـ الصراع الاستعماري في المنطقة .

جـ ـ موقف المسلمين في الشرق من الدول الاستعمارية .

ثانيا : العوامل الداخلية :

أ ـ التخلف الاجتماعي والاقتصادي .

ب ـ تعدد أشكال السيطرة الاستعمارية .

جـ ـ تعدد الزعامات القبلية والخلافات المذهبية .

أولا : العوامل الخارجية

١ ـ الاتراك والعرب :

حين احتـــل الاتراك البلاد العربية ، كان الوطن العربي في مرحلة من مراحل الانحطاط. ولقد زاد الحكم التركي من التدهور والانحطاط ، حتى عمت الفوضى ، وساد الظلم والفقر ، وأصبح الولاة طغمة من السفلة الفاسدين إلا فيما ندر ، وكانوا يغتصبون الولايات ، ويشتبكون في حروب مع الدولة [١] . ولكن فترة الاحتلال التركي رافقها المدّ الاستعماري الغربي ابتـداء بالبرتغال وانتهاء بالانجليز. كان هذا المد يذكي الشعور بالرابطة الاسلامية ، لا سيما ان الحروب الصليبية من جهة ، وهزيمة الاندلس من جهـة ثانية لم تكونا بعيدتين . الشعور بالرابطة الاسلامية وضرورتها كان يغلب على العرب ، لا سيما في أواخر القرن التـــاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان تعبيراً عن الاخوة الدينية ، وكان تعبيراً عن المصلحة المشتركة في مقاومة الغزو الاوروبي الداهم .

ولم يخفف من حـــدة هذا الشعور التطور الذي حصل في

---

١ – الحصري ساطع : البلاد العربية والدولة العثمانية .

البلاد العربية منذ بدء حركة النهضة في منتصف القرن الماضي ، بل لعله زاد هذا الشعور حدة ، وأعطاه معنى أعمق وأقوى .

لهذا لم يفكر العرب بهدم الخلافة ، او بإنشاء دولة قومية عربية ، الا بعد ان عجزوا عن التفاهم مع الاتراك . لقد طرحوا موضوع الاصلاح من خلال الخلافة العثمانية ، وطرحوا موضوع اللامركزية من خلال بقاء الخلافة . ولكن الاتراك قبل حركة ١٩٠٨ وبعدها لم يكونوا على استعداد للتفاهم . وتثبت لنا وقائع التاريخ ان قادة الحركة الوطنية العربية لم يقبلوا بالثورة على الاتراك الا بعد ان قطعوا أي امل في امكانية التفاهم معهم .

ومع هذا ، فإن القسم الأكبر من العرب ظلت عواطفهم مع الخلافة ضد الثورة العربية الكبرى بعد اعلانها ، ومنهم من اعلن الجهاد ضد الغزو الأجنبي . . . ضد حلفاء الثورة العربية الكبرى [٢] .

ولهذا لم يكن ممكناً تعبئة الرأي العام العربي كله مع الثورة ، ولم يكن ممكناً تأمين الالتفاف الشامل حولها في أشد حالات حاجتها إلى ذلك .

---

٢ – الشيخ حسين خزعل : تاريخ الكويت السياسي .

ب ـ الصراع الاستعماري على المنطقة :

مع الغزو الاستعماري بـدأ الصراع الاستعماري على مناطق النفوذ . ولقد ادى هذا الصراع الى تحالفات وحروب ، وزوال دول وقيام دول . وكانت « تركة الرجل المريض » من اسباب الصراع الاستعماري الهامة .

كانت « تركة الرجل المريض » اهم مـا يشغل بال الدول الاوروبية الكبرى ، وكان اقتسامها امراً مفروغاً منه من الناحية النظرية ، ولكن تطبيقه تأخر من ناحية عملية ، بسبب عدم اتفاق الدول الكبرى على صيغة قسمة . لقد دافعت بريطانيا عن الامبراطورية العثمانية ازاء مطامع روسيا ، لانها خشيت ان يؤدي تهديم الامبراطورية العثمانية الى توسيع رقعة الاستعمار الروسي من جهة ، والفرنسي من جهة ثانية ، دون ان يكون بإمكانها حيازة قصب السبق . ولقد حمت بريطانيا وفرنسا الامبراطورية العثمانية من محمد علي لانهما خشيتا قيام دولة عربية في المنطقة ، توحـد العرب ، وتعمل على تقدمهم . ولكن بريطانيا وفرنسا اخذتا تحتلان بعض اجزاء الامبراطورية . فبدأت بريطانيـا بأطراف الجزيرة العربية والخليج العـربي ، وبدأت فرنسا بالجزائر . ثم احتلت بريطانيا مصر وفرنسا تونس . . . ودخلت

المانيا ميدان الصراع ثم دخلت إيطاليا . وفي سنة ١٩١٤، كانت المانيـــا قد اصبحت منافساً خطراً يملك قوى عسكرية هائلة . وكانت الرأسماليـــة الانجليزية والفرنسية تبحث عن المزيد من المستعمرات . ولما كانت البلاد العربية منطقة استراتيجية اولا ، وغنية بثرواتها ثانياً ، فقد كان لا بد من احتلالها .

ولقد حاول حزب الاتحاد والترقي ان يتفاهم مع الحلفـــاء (بريطانيا ، فرنسا الخ) شريطة ان تضمن حدود الامبراطورية العثمانية ، فلم يستجب الحلفاء لذلك . ذلك ان مثل هذا التفاهم يحرم الحلفـاء من اقتسام التركة التي كانوا ينتظرون من سنين فرصة اقتسامها . كان طبيعياً ان ترفض بريطانيـــا وفرنسا التفاهم مع حزب الاتحاد والترقي ، لأن التفاهم يعني عـدم اقتسام تركة الرجل المريض ، في الوقت الذي كان الالمان يتهيأون « لغزوها » .

كان على قادة الحركة العربية إذن ان يختاروا بين البقاء تحت الراية العثمانية عبيداً اذلاء ، او التفاهم مع الحلفاء (وبريطانيا خاصة) لخلع نير الاتراك وإقامة دولة عربية مستقلة في المشرق العربي . هناك احتلال قائم واحتلال متوقع، ولقد اختار العرب ان يكونوا في صف الاحتلال المتوقع ، على امل التفاهم معه .

الا ان قادة الحركة العربية لم يدركوا طبيعة الحرب العالمية الاولى ، ولم يفهموا المعنى الحقيقي للوعود البريطانية .

ولقد كان الصراع الاستعماري على « تركة الرجل المريض » اقوى من ان يرده التحالف العثماني ـ الالماني ، وان يقف في وجهه العرب في العقد الثاني من القرن العشرين .

جـ ـ موقف مسلمي الشرق :

لم يكن قسم كبير من عرب آسيا ضد الثورة العربية الكبرى فحسب ، بل كان ضدها كل عرب افريقيا ايضاً . وكان يقف ضدها بالاضافة الى ذلك المسلمون في كل مكان ، ومسلمو الشرق خاصة .

كان مسلمو الشرق يجابهون الاستعمار البريطاني ، وكانت فكرة الرابطة الاسلامية تبدو لهم وسيلة المسلمين الوحيدة لمواجهة الزحف الاوروبي الاستعماري . ولما كانت الخلافة هي مركز هذه الرابطة ، فقد كان الجهاد في الدفاع عنها واجباً . وفي حالة من هذا النوع لم يكن ممكناً ان يقبل هؤلاء اي تفاهم مع الغزو الاستعماري . وهذا ما رفضت ان تقبله الجماهير العربية الواقعة تحت نير الاستعمار الانكليزي والفرنسي في افريقية .

اذن قامت الثورة العربية الكبرى والجماهير الاسلامية معبأة ضدها .

ثانياً : العوامل الداخلية

أ ـ التخلف الاقتصادي والسياسي :

كان الغرب الغازي مسلحاً بالعلم والآلة ، بينما كان الوطن العربي في اشد حالات التخلف . وكان هـذا التخلف يتمثل من ناحية اقتصادية بما يلي :

١ – كانت البـــلاد العربية بلا صناعة الا بعض الصناعات اليدوية والاستهلاكية التي لا تستحق الذكر .

٢ – كانت الزراعة بدائية الا في حالات نادرة ومحـددة ، لا تستحق الذكر ايضاً .

٣ – كانت البداوة ما زالت واســعة الانتشار في مناطق واسعة من الوطن العربي ، وكانت تقاليدها وقيمها اوسع انتشاراً .

ونتج عن ذلك :

١ – ان الاقطاع كان يتحكم برقاب اغلبية الفلاحين في الوطن العربي .

٢ – ان الزعامات القبلية والعشائرية كانت قوية واسعة النفوذ .

٣ – ان الجماهير كانت تعيش ظروفاً من الاضطهاد والاستغلال والمرض والفقر والجهل .

لقد قامت الثورة ، وليس في البلاد العربية كلها جامعة عربية واحدة ، او مصنع واحد للأسلحة مثلاً . ولم تكن هنالك طرق مواصلات او وسائل نقل ، اذا استثنينا سكة حديد الحجاز مثلاً .

والأهم من هذا ان الثورة قامت ، وليس في البلاد العربية حزب عربي واحد ، له جماهيره المنظمة الواعية . كانت هنالك احزاب وجمعيات محدودة الانتشار جداً ، حديثة العهد بالتنظيم ، يقودها شباب مثقفون من العائلات المعروفة .

وفي الجانب الآخر كان يسيطر على الوطن العربي ، حيث لم يكن هناك استعمار مباشر ، امراء وشيوخ يعدون بالعشرات . وكان هؤلاء بدائيين محدودي المطامح يشغلهم جمع المال من رعاياهم ، ومحاولة التوسع على حساب جيرانهم .

وكان من السهل على الانجليز وغيرهم ان يشتروا اكثرهم بالقليل من المال او البنادق او التهديد ، وان يثيروا بعضهم على بعض في اي وقت من الأوقات تحقيقاً لأغراضهم .

ولقد قامت الثورة العربية الكبرى، والوضع على ما وصفنا. وكان على الثورة ان تحاول استمالة بعض هؤلاء الى صفوفها ، فنجحت ، بينما نجح الانجليز في دفع عدد من هؤلاء لتأييدهم .

وكان هؤلاء جميعاً عبئاً على الثورة . . . دفعها الى احضان التخلف من جهة وإلى احضان الاستعمار من جهة اخرى .

ب ـ تعدد اشكال السيطرة الاستعمارية .

ادى احتلال الانجليز لاطراف الجزيرة العربية والسودان والخليج ، واحتلال فرنسا لتونس والجزائر والمغرب ، وايطاليا لليبيا ، وتركيا لاجزاء من المشرق العربي، الى اختلاف جوهري في مواقف الجماهير والقيادات في كل من هذه المناطق . فلقد كانت اتجاهات القيادات والجماهير في مناطق الاحتلال الانجليزي الفرنسي الايطالي اسلامية ، بينما اتجاه عربي قومي في منطقة الاحتلال التركي. ولقد ادى هذا الى تصادم الولاءات، وانقسام القيادات والجماهير في الوطن العربي ، مع ان القيادات

الوطنية في منطقة الاحتلال التركي لم تكن ضد الإسلام ، بل نستطيع أن نقول انها كانت اسلامية التكوين ، من حيث الثقافة . وكان من نتيجة ذلك ان اتهمت القيادات الاسلامية والجماهير الاسلامية الثورة العربية الكبرى بالعمالة للانجليز ، ووقفت ضدها .

جـ - الزعامات القبلية والمذهبية :

ذكرت ان الوطن العربي كان يخضع لزعامات قبلية متعددة، وان هذه الزعامات كانت متعادية متناحرة، ومستغلة للجماهير، وعلى صلة بالاستعمار . وكانت هنالك زعامات اخرى مذهبية تمثل طوائف وأقليات . ولقد استطاع الاستعمار ان يتفاهم مع بعض الزعامات القبلية، فأدى ذلك الى ارتباطات وولاءات تسير في خط مضاد لاتجاه الثورة . وكان لهذه الزعامات القبلية والمذهبية غايات تريد ان تحققها، فكانت تلجأ لهذه الفئة الاجنبية او تلك .

صحيح ان هذه الخارطة الملونة من الولاءات كانت جزءً من الواقع الاقتصادي والاجتماعي، ولكنها كانت بعيدة الأثر بالنسبة للحركة العربية ومستقبلها .

لقد ساهم جو الحـــذر والريبة والصراع الذي كان يسود المنطقة مساهمة فعالة في التمكين للاستعمار ، وفي قيام الكيانات العربية التجزيئية الحاضرة .

- ٢ -

نستطيع بعد ان رسمنا هـــذه الخلفية ، ان نناقش الثورة العربية الكبرى ذاتها ، فكراً وأداة ، استراتيجية وتخطيطاً .

ولنبدأ ،

يمكن ان نميز في قيادة الثورة بين فئتين ، اولاهما تتألف من اعضاء الجمعيات والاحزاب والهيئات الاصلاحية التي قاومت الاستبداد التركي خلال العقدين السابقين على الثورة ، وهؤلاء هم المثقفون والاصلاحيون الوطنيون ، اما الثانية فتتألف من الشريف حسين وابنائه وزعماء القبائل التي انضمت اليه . بـــين هاتين الفئتـين بون شاسع في التكوين والاستعداد . كان أكـثر أفراد الفئة الاولى من الطبقات الثرية المعروفة ، ولكنهم كانوا أكـثر

وعيـــاً ، نتيجة دراساتهم أو أسفارهم او اتصالاتهم ، وكانوا أكثر ميلاً للاصلاح وسعياً لتحقيقه . ولكن هؤلاء كانوا قـــلة قليلة . وكان المجتمع حولهم يرفض الاستبداد التركي ، ويريـد الاصلاح ، ولكنه مجتمع محافظ جامد متخلف . وكانت لهـم تنظيمات محدودة الانتشار جداً ، وحديثة العهد ، كما ذكرت ، مما كان يجعلهم غير قادرين على القيام بعمل حاسم ضد الاتراك ، الا بالاعتماد على القبائل المسلحة المحاربة .

كانوا اذن لا يستطيعون ان يعمـــلوا الا اذا اعتمدوا على القبائل . ولم يكن الاعتماد على القبائل بالأمر المأمون العواقب . فالقبائل المسلحة متخلفة في وعيها ، وزعماؤها من السهل ان يشترى رضاهم على الأغلب ، ان لم يكونوا على صـــلة مسبقة بالاستعمار . وهم فوق هذا كله مع كل اصلاح شريطة ألا يمس اوضاعهم ونفوذهم . وهذا يعني ، انهم ضد كل اصلاح جذري .

صحيح ان الفئة الأولى كانت غير واضحة الملامح سياسياً ، فهي عربية واسلامية ، تقدمية ومحافظة ، ولكنها كانت تمثل البورجوازية الصاعدة . اما الفئة الثانية فقد كانت تمثـــل الاقطاع والقبلية .

وكان أي زواج بين هاتين الفئتين غـــير مأمون النتائج ،

لاختلاف كل منهما عن الاخرى مصالح وثقافة ووعياً . ولكن كان اللقاء ممكناً لأن قوى الاقطاع والقبلية في أكثر بلدان آسيا حاولت منع السيطرة الاستعمارية بادىء ذي بدء ، لكي تنفرد بالسلطة. غير انها عادت وتحالفت معها بعد بسط هيمنتها. ومن هنا كان الزواج ممكناً في المرحلة السابقة لنجاح الاستعمار في بسط سيطرته .

وحين التقى الامير فيصل ابن الأمير الطامح حسين بمثلي حزب العربية الفتاة ، ومن بعد بمثلي حزب العهد، ظن كل من الفئتين ان الزواج بينهما سيستمر . ولكن الزواج كان سياسياً. وكان كل من الطرفين يريد ان يحقق اهدافه عن طريق هـذا « الزواج ». اراد الحسين ان يحقق وحدة المشرق العربي واستقلاله تحت رايته ، واراد وطنيو حزب الفتاة ان يحققوا نفس الهدف، ولكن من اجل قيام حكم ملكي وطني دستوري . اراد الحسين ان يستعمل الوطنيين العرب لانشاء مملكة له ، واراد الوطنيون ان يستخدموا الحسين لانشاء دولة عربيـة مستقلة . وكانت مطامح الحسين لا تتحقق دون الوطنيين العرب، كما كانت مطامح الوطنيين العرب لا تتحقق دون الحسين والحجاز. ولهذا تم اللقاء وتبعه الزواج ...

غير ان الزواج لم يكن مطمئناً من البدء. كان بعض الوطنيين غير مرتاحين لاتصالات الحسين بالانجليز. فهم لا يحاربون الاستعمار التركي ليفتحوا الطريق لاستعمار انجليزي او فرنسي. وزاد من عدم الاطمئنان ان الحسين اخـــذ يقرب الأولاد و « الزلم » والانصار دون اعتبـــار لكفاءة ، وبطريقة أشعرت كثيراً من الوطنيين ان الثورة هي ثورته الخاصة ، وثورة ابنائه وأنصاره. ولهذا السبب انفض عنه عـــدد من الوطنيين ، من بينهم القائد الكفؤ الفريق عزيز المصري ، وانشأ جماعة من الوطنيين حزب الوحدة السورية في القاهرة.

كان هنالك بالاضافة إلى هذا مطامح ولديّ الشريف حسين فيصل وعبدالله . كان كل منهما يريد ملكاً ، وكل منهما يسعى لبناء دولة له . لقد غضب عبدالله حين قاد فيصل جيش الفتح ، وغضب حين توّج على العراق . وكان دائم التـــذمر من ذلك . وكان فيصل يريد عرشاً كيفما كان . اراده برغبة الشعب ، فلما فقد العرش الذي اراده الشعب له في سورية ، قبل بعرش وهبه له الانجليز.

تم اللقاء سريعاً ، وتم الفراق سريعاً . ولكن قسماً كبيراً من قـادة الحركة الوطنية ظل يعمل مع الحسين واولاده ...

تحولوا إلى بطانات وحواشي ، وظلوا هكذا حتى بعد سقوط الحسين وفيصل وغازي ، وهكذا اصبح اكثرهم ضد حركة التحرر والاستقلال . اما القسم الآخر من الوطنيين فقد تحولوا الى المعارضة مبكراً .

لقد كانت اداة هذه الثورة إذن ضعيفة وهزيلة ، منقسمة على نفسها ، والفئة الاقطاعية القبلية اقوى عسكرياً ونفوذاً من الفئة الأخرى بشكل لا يقارن . وثورة هذه اداتها كان من المستحيل ان تجابه الاستعمار الاوروبي الحديث .

الأخطر من ذلك ان الثورة كانت بلا مبادىء واضحة . ان شعاري الاستقلال والوحدة ، وهما شعاراها الأساسيان ، اتخذا معاني مختلفة . كما ان مبررات الثورة كانت تختلف بين فئة وفئة . كانت فئة الوطنيين تريد استقلالا تاماً للمشرق العربي ، وكانت في اغلبها مستعدة للحرب دون هذا الاستقلال . وكان الحسين متصلباً ، ولكنه كان مستعداً للقبول ببعض التنازلات التي اشترطها الانجليز . وقد وافق عليها . اما فيصل فقد كان متردداً بين دعاة التساهل ودعاة المقاومة ، ولكنه كان اميَل للتساهل . وحين جد الجد ، وافق على الشروط الفرنسية بلا تردد .

وكما كان شعار الاستقلال غائماً، فقد كان شعار الوحدة أيضاً. فلقد رفع شعار الوحدة العربية ، ولكن المقصود كان المشرق العربي وحده . ومع هذا فقد تنازلت الثورة العربية عن أجزاء هذا المشرق للاستعمارين الفرنسي والانجليزي . ثم قام المؤتمر السوري الأول فطالب بوحدة سورية فقط على ان ترتبط باتحاد اقتصادي وسياسي مع العراق .

وبينما كان حسين قد أعلن نفسه ملكاً على العرب ، توّج ابنه فيصل ملكاً على سورية ، وابنه عبدالله أميراً على شرق الأردن ، وحكم الانجليز العراق والفرنسيون لبنان .

وبينما كان الوطنيون يدعون لقيام دولة عربية ، ويعلنون ان الثورة قامت لتحرير العرب من الترك واستعادة دولتهم ومجادهم ، كان الشريف حسين يعلن بيان الثورة في مكة ، مؤكداً على انه يحارب الترك لأنهم خالفوا شعائر الإسلام .

وزاد الحسين على ذلك فأعلن نفسه سنة ١٩٢٣ خليفة للمسلمين ، في وقت كان فيه الرأي العام الاسلامي ضده ، وكان ابنه فيصل قد أبعد من سورية ، وعين ملكاً على العراق ، تحت الانتداب البريطاني ، وابنه عبدالله قد عُيّن أميراً على شرق الأردن تحت الانتداب البريطاني .

فالثورة لم تكن بـــلا أداة فحسب ، بل كانت بلا فكرة واضحة محددة ، وكانت الظروف تلعب بها ، فتغير ابعادها ، وتقودها من جهة إلى أخرى ، حتى انها أصبحت غير جديرة باسمها .

مما يجب ان يبحث في هـذا المجال أيضاً ، قضية تكتيكية هامة ، وهي عدم الاستفادة من الزمن . فلقد بدأ اللقـــاء بين حزب الفتـاة وحزب العهد والأمير فيصل سنة ١٩١٤ . ولكن الثورة لم تعلن إلا في العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ .

ولقد تردد الحسين في اعلان الثورة خلال هذه المـدة ، لأنه كان يوازن بين اتفاقه مع الانجليز واتفاقه مع الأتراك . وحـين أعلنت الثورة كان الوضع قد أخذ في التبدل . ولم يمض إلا عام واحد حتى انتصر الحلفاء في كل الجبهات. وبعد الانتصار تفرغوا لحل مشاكل « الغنائم » . وبذلك أصبحت مواجهة الحلفـــاء صعبة جداً . كان يمكن لو أعلنت الثورة مع بداية الحرب ، ان يستطيع العرب الاشتراك اشتراكاً أكثر فعالية في الحرب، ومن ثم تهيئة قوى ، واحراز انتصارات أكبر من التي احرزوها ، وبالتالي مجابهة الحلفاء مجابهة أكثر جدية وصلابة .

ثم ان التأخير في اعلان الثورة أدى إلى ان يعتقل الأتراك

معظم قادة الحركة الوطنية ، ليعدموهم فيما بعد، كما استطاعوا أن يبعدوا قادة الجيوش العرب إلى مناطق نائيـــة ، ليمنعوهم ووحداتهم من الاشتراك في الثورة . ولقد أدى هذا إلى حرمان الثورة من عناصر جيش نظامي فعـــال وكبير نسبياً ، وإلى ضرورة الاعـــتماد على جيش حسين البدوي المؤلف من المرتزقة والمتطوعين .

ان عامل الزمن هذا عامل هام . ولكن قادة الحركة الوطنية لم ينتبهوا له كثيراً . كانوا يفكرون بأمير بدوي يعلن الثورة ، ويستطيع أن يجند قبائل لدعمها ، ولكنهم على ما يبدو لم يهتموا كثيراً بأمر اشتراك القادة العرب والقطعات العربية التي كانت معسكرة في البـــلاد العربية بالنورة . إذ انهم لو اهتموا بالأمر لجعلوا قيادة الثورة بيد العناصر العسكرية العربيـــة ، التي تملك القوات اللازمة لذلك ، ولجعلوا الأمراء مجرد احتياط ورديف . وكان يجب ان يرفض القادة العرب الانتقال من الارض العربية ، بحجة الدفاع عن أرضهم ، ليجعلوا من رفضهم الانتقـــال بداية لثورة مسلحة . ولكن هذا لم يتم ، وبهذا لم يستفد العرب من هذه القوى النظامية الكبيرة .

ولقد هيأ هذا للحسين ولابنه فيصل من بعده ، أن يحكموا ويتحكموا وأن يفاخروا بدورهم الريادي في الثورة .

- ٣ -

هل كان يمكن ان تنجح الثورة العربية الكبرى ؟

ان الخلفية التي رسمتها تقدم اجابة مسبقة وواضحة : ان لا . ذلك ان كل العوامل كانت ضد الثورة . كانت العوامل الخارجية معادية ، وكانت الثورة لا تملك مقومات تماسك ذاتي . لو كان ممكناً القضاء على الأتراك فلم تكن مجابهة الانجليز والفرنسيين ممكنة ، ولو كان ممكناً التفاهم مع الانجليز فلم يكن سهلاً إرضاء الفرنسيين .

كانت التركة لا بد من ان « تقسم » ، وكان العرب أعجز من ان يردوا زحف الغزاة .

إلا ان هذا لا يمكن ان يعفي القيادات العربية ، سيان كانت قيادة الشريف حسين وأولاده ، أو كانت قيادة الحركة الوطنية ، من مسؤولياتها . فلقد كان يمكن أن يخرج العرب بأحسن مما

خرجوا لو عرفت قياداتهم كيف تواجه تآمر الحلفاء من البدء . لو كان الحسين أكثر صرامة مع الانجليز ، ولو كان أولاده أقل أنانية وأكثر حرصاً على تشييدملك كبير عزيزلهم،ولو استطاعت الحركة الوطنية أن تجند المزيد من الجماهير ، وأن تضع حـــداً لسيطرة الشريف حسين على الثورة ، ومن ثم سيطرة أولاده .

يعتقد البعض ان الثورة حققت بعض الانتصارات ، واعتقد انها لم تحقق شيئاً من الشعارات التي رفعتها . لقـــد رفعت شعار وحدة المشرق العربي واستقلاله ، فلم تتحقق وحدته ، ولا تحقق استقلاله . وكان من نتيجة الثـــورة ان خسر الهاشميون الحجاز ، الذي كان مركز الثورة ، ولم يكن من السهل على الانجليز احتلاله ، بينما كسبوا عرش العراق في ظل انتداب ، أو فلنقل احتلال بريطاني ، وكرسي الإمارة في شرق الأردن تحت نفس الظروف .

أما الحركة الوطنية فلم تكسب غير تجربة مرّة...هي تجربة العرب الأولى في العصر الحديث في النضال ضد الاستعمار ومن أجل الوحـــدة . هذه التجربة هي التي تستحق الاهتمام ، حتى ولو كانت نتائجها سلبية .

الفصل الثالث

الفكر القومي في ظل التجزئة السياسية

- ١ -

كانت اول ثمرة من ثمرات انهيار السلطنة العثمانية ، استيلاء الحلفاء على تركة « الرجل المريض » . وكان الوطن العربي من نصيب بريطانيا وفرنسا : اللتين احتلتا من قبل اجزاء منه .

وكان رجال الحركة العربية ، والشريف حسين على صلة ببريطانيا . وكانوا يؤملون خيراً من تفاهمهم معها ، وان كان بعضهم غير مطمئن . ولقد بذلت بريطانيا للعرب الوعود جزافاً .

فلما انتهت الحرب، عملت بريطانيا على التنصل من وعودها. فأعلن فيصل ملكاً على الشام ، بينما كان أبوه « ملك العرب » ينتظر تنفيذ الوعود التي وعدته بها بريطانيا. وسقط فيصل أمام

الغزو الفرنسي ، اما أبوه الذي ظل مصراً على المطالبة بما وعد به ، فقد ألبت بريطانيا عليه رجل الجزيرة المتحفز ، والخصم التقليدي، وقائد أقوى حركة « عقائدية » عبد العزيز آل سعود، فاضطر للتنازل ، عن عرش الحجاز ، ليخرج من هناك منفياً فيما بعد .

وقد سويت الأمور كما يلي :

١ – احتلال فرنسي للبنان وسوريا .

٢ – احتلال بريطاني للعراق والأردن وفلسطين .

٣ – تعيين فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، وعبدالله أميراً على شرق الأردن .

وصحب هذا كله ، انشاء كيان لبنان الحالي ، بإضافة مقاطعات إلى « لبنان الصغير » ، وإنشاء أربع دول في سورية الداخلية، هي دولة دمشق، ودولة حلب ، ودولة جبل العلويين، ودولة جبل الدروز ، وانشاء امارة شرق الاردن ، مقسمة إلى ثلاث دول ، هي دولة عجلون ، ودولة السلط وعمان ودولة الكرك [١] .

---

١ – الحصري ساطع، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ـ سعيد أمين الثورة العربية الكبرى .

كان الوضع الجديد محزناً ومثيراً في الوقت ذاته ، فالعرب الذين ثاروا على الاتراك ، اخوتهم في الدين وتمردوا على الخلافة الاسلامية ، كانوا يحلمون بالوحدة والاستقلال . ولقد جاء الاحتلال الاجنبي ليحول بينهم وبين الوحدة ، وليحرمهم من حلمهم في الاستقلال . ولم يكن المحتلون هذه المرة مسلمين ، ولا كانوا يحكمون باسم الخلافة ، بل كانوا غزاة مستعمرين ، وأعداء غير متسترين . ولقد أدى نكثهم بالوعود التي قطعوها على أنفسهم ، واضطهادهم للسكان إلى ثورات عديدة ، بعضها قام بعد الاحتلال مباشرة مثل ثورة صالح العلي في جبل العلويين ، والثورة العراقية الاولى ، وبعضها قام بعد سنوات مثل الثورة السورية . وكانت الثورة العراقية (١٩١٩ – ١٩٢٠) والثورة السورية (١٩٢٥ – ١٩٢٧) والثورة المصرية (١٩١٩) اهم هذه الثورات . فماذا كانت أهدافها ؟ لقد كانت أهدافها محلية عموماً . فوطنيو العراق ، طالبوا الانجليز سنة ١٩٢٠ بما يلي :

١ – « الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ، ليعين مصيرها ، وشكل ادارتها ونوع علاقتها بالخارج .

٢ – منح حرية المطبوعات ، ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغائبه وأفكاره .

٣ ـ رفع الحوجز البريدية بين أنحاء القطر أولاً ، وبينه وبين الأقطار المجاورة والممالك الاخرى ثانياً ، ليتمكن الناس هنا من التفاهم بعضهم مع بعض ، ومن الاطلاع على سير السياسة الراهنة في العالم »[٢] .

ولقد انتهت الثورة « بتشكيل حكومة وطنية في العراق ، بنظارة حكومة بريطانيا »[٣] .

ولم تكن الثورة السورية تستهدف أكثر من الاستقلال الداخلي ، وإن طالبت باسترجاع المقاطعات التي أضيفت إلى لبنان الصغير ، وتحقيق الوعود التي وعد الحلفاء العرب بها . أما ثورة مصر فانحصرت أهدافها في الجلاء والاستقلال .

أما الثورة العارمة التي كان يموج بها الوطن العربي ، عبرت عن نفسها بانفجارات غير مترابطة ، وبأهداف محدودة ، تجلت في كل الحركات التي قامت ابتداء من حركة صالح العلي في جبل

---

٢ ـ المقدسي أنيس ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، ص : ١٦٤ ـ ط . ثانية : دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣ ـ حسين الشيخ خزعل : تاريخ الكويت السياسي ـ الجزء ٤ ـ ط . اولى ص (٢٤٧ ـ ٢٤٩ و ٢٥٦) .

العلويين ، وانتهاء بحركة عبدالكريم الخطابي في المغرب . فلقد قامت حركة صالح العلي وحركات القبائل العراقية ، دون أن يقوم بينهما أي تنسيق ، وبعد ان اخمدت ، قامت حركة قبيلة العقيدات على الفرنسيين في دير الزور . ثم لم يجـــر أي تنسيق بين « الثورة العراقية » و « الثورة المصرية » (١٩١٩ - ١٩٢٠) أو الثورة السورية والثورة المراكشية (١٩٢٥) . كان الاتصال الوحيـد الذي جرى ، هو الاتصال الذي تم بين صالح العلي في جبل العلويين ، وإبراهيم هنانو في حلب .

وكانت أغلب هـــذه الحركات « عشائرية » ، وإن كانت قيادتها العليا في أيدي وجاهات المدن . ولم تقم المدن بدور إلا في الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وثورة مصر .

لقد اثبتت ثورات هذه المرحلة ، بأنها أعجز من ان تتحول إلى ثورة شامـــلة ، لأن الوجاهات القائدة حصرت مطالبها في أهداف محلية محدودة ، وكانت مستعدة للمساومة على الحد الأدنى من المكاسب الرخيصة .

- ٢ -

صحب الاحتلال ، وسقوط الحكم الفصيلي في سورية ، تبعثر رجال الحركة العربية ـ كما ذكرنا ـ وانتشار عقد أحزابها بدداً . فلقد انتهت كل المنظمات والأحزاب ، التي نشأت خلال السنوات (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) . ولم يخرج على هذا القانون حتى الحزبان البارزان العهد والفتاة . والجدير بالذكر ان حزب العهد ، انقسم بعد سقوط الحكم الفيصلي في الشام إلى قسمين ، عهد سوري وعهد عراقي ، بسبب نزاعات شخصية على الزعامة ، واهتمامات محلية نتجت عن اختلاف الظروف في كل من سورية والعراق . «ومهما يكن من أمر فإن هذا الحادث كان أول افتراق إقليمي في تشكيلة قومية ، كانت شاملة المدى . وقد انكشفت به ناحية من نواحي ضعف البنية القومية الاجتماعية »[٤] .

ان انتشار عقد الحركات العربية السرية ، ظاهرة ذات دلالة ، ويجب أن تعطى حقها من العناية والدرس وهو ما لم يحدث

---

٤ ـ محمد عزت دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ـ ج ١٠ ص (٨٨ ـ ٨٩) المطبعة العصرية ـ صيدا ١٩٥٠ .

حتى الآن . وانني أعتقد ان العوامل التي أوجدت هـذه الظاهرة هي :

أولاً : مجموعة الظروف السلبية التي بينتها سابقاً [٥] .

ثانيـاً : وجود الاستعمار ، وإنشاء الكيانات السياسية ذات الحدود والجوازات والجمارك .

ثالثاً : استنفاد جيل « الثورة العربية » (١٩٠٨ - ١٩١٨) لقواه السياسية ، ورضاه من الغنيمة بالإياب .

وكان انتشار عقـد الحركات العربية السرية انهياراً « للثورة العربية » ، ذلك انها فقدت القيادة الموحدة الموجهة .

ويعزو محمد عزت دروزة [٦] انهيار الحركة العربية بعـد الحرب العالمية الأولى إلى الأسباب الرئيسية التالية :

١ - غدر الحلفاء .

٢ - « عدم انتظام واستمرار قوى الثورة العربية » .

٣ - « عدم تحـلي فيصل بصفات الزعيم القوي الناضج الألمعي » .

---

٥ - الفصل الأول .

٦ - محمد عزة دروزة : المرجع السابق الجزء الاول ، ص ١٣٧ .

لقد كان تبعـــثر الحركات القومية اول انتصار للتجزئة السياسية .

وفي هذه المرحلة بالذات، لم يفقد العرب استقلالهم ووحدتهم فحسب ، بل فقدوا أول جزء من بلادهم ، وهو « عربستان » ، سنة ١٩٢٥ م .

- ٣ -

وعلى الرغم من ذلك، فقد كان الطموح للوحدة والاستقلال يعبر عن نفسه بأشكال مختلفة ، وفي مناسبات عديدة ، ويمكننا الآن أن نقدم صورة عن بعض الاتصالات والتظاهرات .

أولاً : زار الشريف حسين «ملك العرب» عمان سنة ١٩٢٣، بعد ان خدعه الانجليز وأصبح وضعه في مكة حرجاً . وسارت وفود من فلسطين ولبنان وسورية لتحية الملك وتبـادل الرأي معه ، فيما آلت اليه حال البلاد العربية [٧] . وصادف أن ألغى

٧ – الشيخ قسطنطين يني الشهيد : صفحات من التاريخ القومي العربي الحديث ـ ص ١٠ ـ ٠

أتاتورك الخلافة في هذه الاثناء ، فبويع الحسين بها . ولكن هذه التظاهرة لم تكن ذات أثر، فقد اضطر الحسين بعد هذا بقليل، إلى التنازل عن عرش الحجاز ، وأبعد الى قبرص [٨].

ثانياً : وانعقد في بيروت سنة ١٩٢٧ في الثالث والعشرين من اكتوبر مؤتمر ضم بين وطنيي سورية ولبنان ، ولكنه لم يكن ذا نتائج إيجابية أيضاً .

ثالثاً : التقى خلال المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس سنة ١٩٣١ ، عدد من أعضاء جمعية « العربية الفتاة » السابقين، ورجال العهد الفيصلي في سورية . وقد تداول هؤلاء في أوضاع البلاد العربية ، وبعد لقاءات اتفق على وضع ميثاق قومي ، واختيار لجنة تحضيرية .

وقد تحدث البيان الذي صدر عن اللجنة التحضيرية في بدايته عن مؤامرة الاستعمار على القضية العربية ، « ولقد كان أحد مظاهر هذه المؤامرة المنكرة ، ووسائل انجاحها اشغال أهل كل قطر من الاقطار العربية عن اخوانهم في الاقطار الاخرى

---

٨ – امين، سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، دار الكاتب العربي، ص – (٣٥٨ – ٣٦٠ – و ٣٧٦ – ٣٩٢).

بقضايا اقليمية مصطنعة ، وأوضاع محليـة متقلصة ، ونكبات متنوعة ، حصراً للجهود في دوائر ضيقة ، ومناطق محدودة ، وصرفاً لها عن الامتداد إلى أفق أعلى ، تتلاقى في مستواه العام القضية العربية مترابطة الاجزاء ، متضافرة الاقسام ، جرياً مع السنن الكونية في نهضات الامم وارتقاء الشعوب »[٩] .

وذكر البيان ان المجتمعين أقروا المواد التالية :

« المادة الاولى : ان البلاد العربية وحـــدة تامة لا تتجزأ ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا تقره ولا تعترف به .

المادة الثانية : توجه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية ، إلى وجهة واحدة ، هي استقلالها التام كاملة موحدة ، ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمـــل للسياسات المحلية والاقليمية .

المادة الثالثة : لمـا كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه ، يتنافى كل التنافي مع كرامة الامة العربية ، وغايتها العظمى ،

---

٩ – محمد عزة دروزة : المرجع السابق ج ٣٠ . المطبعة العصرية صيدا ١٩٥١ ص (٣٠١ - ٣٠٢) .

فإن الامة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها »[١٠] .

ويذكر البيان ما رآه المجتمعون من ضرورة « عقد مؤتمر عربي عام في احدى العواصم العربية ، للبحث في الوسائل المؤدية إلى نشر الميثاق ورعايته ، والخطط التي ينبغي السير عليها لتحقيقه »[١١] .

أما أعضاء اللجنة التحضيرية فهم عوني عبد الهادي ، وخير الدين الزركلي وصبحي الخضراء وعجاج نويهض وأسعد داغر وعزة دروزة : وكان من الموقعين على البيان رشيد رضا وعلي ناصر الدين ورياض الصلح وشكري القوتلي ومصطفى الغلاييني ومحمد علي الطاهر وسعيد الحاج ثابت .

وزار فيصل ملك العراق عمان في هذه الاثناء، وكان ياسين الهاشمي قد أخبر المؤتمرين بمعاضدة فيصل للمؤتمر ، فأرسلوا وفداً للتفاهم معه . وقد وافق فيصل على عقد المؤتمر في بغداد ووعد بإعطاء المؤتمرين الحرية التامة. وخشي عبد العزيز آل سعود أن يستفيد الهاشميون من المؤتمر، فأرسلت اللجنة التحضيرية الشيخ

---

١٠ – المصدر السابق ، ص – ٣٠٢ – .

١١ – المصدر السابق ، ص – ٣٠٣ – .

كامل القصاب لإيضاح حقيقة المؤتمر للسعوديين . فوافق عبد العزيز آل سعود على عقد المؤتمر في بغداد .

والتقى بعض الموقعين على البيان في حيفا مع الشيخ القصاب واتفقوا على أمرين ، أولهما : أسماء الاشخاص الذين سيدعون لحضور المؤتمر ، وثانيهما : « عقد المؤتمر في ربيع سنة ١٩٣٣ » .

وتألفت في العراق لجنة تحضيرية مكونة من جميل المدفعي ونوري السعيد وياسين الهاشمي وسعيد الحاج ثابت ومولود مخلص. وقد انسحب الهاشمي قبل أن تطبع بطاقات الدعوة ، فحدث تأخير في موعد الاجتماع . ومات فيصل قبل أن يعقد المؤتمر . وعلم فيما بعد ان القنصل الانكليزي في بغداد حذّر فيصل من عواقب المؤتمر .

وجرت محاولات لعقد المؤتمر في مكان آخر غير بغداد ، ولكنها كلها فشلت[١٢] .

رابعاً : اجتمع بعض الوطنيين العرب مع الملك فيصل في أوروبا سنة ١٩٣١ ، داعين لاتحاد سورية والعراق . ويروى ان

---

١٢ – المصدر السابق ص (٨٤ – ٨٥) .

الملك فيصل اهتم بالأمر ، وأجرى اتصالات مع بعض الساسة الغربيين [١٣] . ولم يكن ممكناً ان ينتج عن مثل هـذه الاتصالات شيء .

خامساً : انعقـد في قرنايل بلبنان مؤتمر في ٢٤ آب سنة ١٩٣٣ ، ضم بعض رجال الحركة العربية في سورية ولبنـان وفلسطين والعراق . وقـد صدر بيان عن المؤتمر حدد أهداف «عصبة العمل القومي» التي انبثقت عنه . وجاء في البيان ان «البلاد العربية بكليتها وطن عربي واحد ، وما أحـدثه الاستعمار من التجزئة الطارئة لا تقره الامة ولا ترضى به . العرب في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم أمة واحـدة .... » و « العروبة اخوة يتساوى فيها العرب قاطبة في الحقوق والواجبات . والقوميـة العربية فوق كل شيء وقبل كل شيء ، وكل ما يتعارض معها من عصبية طائفية أو قبليـة أو أسرية مقاوم ومنبوذ . . . » « القضية العربية هي إنشاء الدولة العربية لتحقيـق الإرادة

---

١٣ – علي حاج بكري، العقلية العربية بين الحربين ١٩١٨-١٩٣٩، منشورات دار الرواد .

العربية العـــامة . الحركة العربية هي حركة بعث وتحرير وإنشاء »[١٤] .

وكان لعصبة العمل القومي فروع في لبنان وسوريا والعراق. وقد بدأ العمل المنظم في لبنان سنة ١٩٣٦ ، وكان يقود جماعة العصبة الاستاذ علي ناصر الدين . وقد ظلت العصبة تعمل حتى سنة ١٩٣٩ ، حيث اعتقل رئيسها ، وظل في السجن حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وحين استقال بعد الحرب، لم يجر انتخاب خلف له ، ولم تنشط العصبة بشكل منظم منـــذ ذاك الحين . أما في سورية فقد اندمجت العصبة مع أحزاب أخرى ، تشكل منها « الحزب الوطني » برئاسة صبري العسلي .

ولقد كانت العصبة الحركة العربية الوحيدة ، التي مارست نوماً من التنظيم ، وقامت بعمل منتظم على مستوى عربي – ولو جزئياً – خلال العقدين التاليين للاحتلال الفرنسي – الانجليزي.

---

١٤ – صايـغ أنيس ، ـ الفكرة العربية في مصر ـ بيروت ١٩٥٩ ص (١٦٤ – ١٦٥) .

- ٤ -

وكانت الحركة العربية تسير فكرياً في خط مواز للعمل ، انها لم تكن سباقة ولا متفوقة ، كما لم تكن قوية وموجهة . ونستطيع أن نقدم هنا صورة حية لمضمون الحركة العربية ، من خلال مجموعة من المفكرين والدعاة الذين جعلوا الوحدة والتحرر قضيتهم .

أولاً : أمين الريحاني . ان كتب الريحاني كثيرة ومتنوعة ، ولذلك فنحن مضطرون للبحث عن أفكاره السياسية عبر كتبه ومقالاته وخطبه . ويمكننا أن نستنتج من متابعة أفكاره ما يلي :

١ ـ كان أمين داعية وحدة ، ولكنه لم يحدد لها مضموناً أو اطاراً ، إلا في وقت متأخر . كان ذلك سنة ١٩٣٤ حين كتب يقول : « ان الوحدة العربية ممكنة بل هي محققة ، ان لم تكن اليوم فغداً ، بعد سنة أو بعد خمسين سنة . نعم ، هي محققة لانها مظهر من مظاهر التجدد والرقي ، ودرجة من درجات التطور القومي في كل مكان .

« الاتحاد الممكن في البدء هو الجزئي اللامركزي ، لان الحكومات الحاضرة العربية ، المستقلة وشبه المستقلة ، لا تتنازل ، ولا يمكنها ان تتنازل عن حقوق السيادة الاقليمية كلها .

« لا يتم الاتحاد ويعم إلا تدريجياً . وقد سبق الاقطار الجنوبية الاقطار الشمالية ، لان السيادة الاجنبية فيها هي أخف مما هي في الأقطار الشمالية .

« التضامن لا يقوم بغير الشعور القومي العام والتربية القومية الواسعة النطاق البعيدة المرمى . فتصبح الوطنية الاقليمية ذات قلب عربي نابض ، وصوت عربي صادق ، وروح عربية شاملة .

« الشعور القومي العام ، ينبغي أن ينمو وينتشر في العامة قبل الخاصة ، وفي المحكومين قبل الحاكمين ، فيضطر هؤلاء ، إذ ذاك أن يماشوا الشعب ، أو يساقوا بتياره وبعوامله الشعبية الغلابة » (١٥).

ونراه بعد عامين يرى ان يكون لبنان : « حراً مستقلاً في سياسته الداخلية وشؤونه الاقتصادية والإدارية ، ومتحداً

---

١٥ – الريحاني أمين ، القوميات العربية ج – ٢ ط . اولى سنة ١٩٥٦ دار الريحاني ص (٨٦ – ٨٧) .

وسورية في سياسته القومية ، ومنضماً إلى الحلف العربي ، أو بالحري متعاهداً متحالفاً كقطر عربي مستقل والاقطار العربية الاخرى المستقلة » (١٦).

٢ ـ كان الريحاني قبل الاحتلال الانجليزي الفرنسي للمشرق العربي كثير التحدث عن سورية ووحدة سورية . ولقد نادى بوحدة سورية بعد هذا التاريخ . وكان يقول ، انا لبناني سوري عربي . ومما جاء في إحدى خطبه : « ايها السادة والسيدات كنت ، ولا ازال ، من دعاة الوحدة السورية اللبنانية ، وقلت، ولا ازال اقول ، ان الخير الاكبر لوطننا الاكبر، لسورية ولبنان هو في الاستقلال التام ، وفي الاتحاد التام عاجلاً او آجلاً . ان في الاتحاد التام الشامل للأقاليم السورية واللبنانية كلها رقي البلدين وسعادة البلدين » (١٧) .

٣ ـ وتقوم الوحدة في نظره على « ثلاثة اركان جوهرية : اللغة والقومية والمصلحة » (١٨).

---

١٦ ـ المصدر السابق : ص ـ ٢٠٨ ـ سنة ١٩٣٦ .

١٧ ـ المصدر السابق : ص ـ ٨ ـ سنة ١٩٢٨ .

١٨ ـ المصدر السابق ج ١٠ ص ـ ٢١٣ ـ سنة ١٩٢٨ .

٤ ـ كان يرى ان الوحدة لا تقوم إلا على اسس علمانية .

٥ ـ وكان يرى ان الاستعمار هو صانع التجزئة وحاميها .

٦ ـ وكان الريحـــاني يرى في الملك فيصل ملكاً ديمقراطياً عصرياً حكيماً [١٩] . ولا يبدو فيما قرأنا له انه كان يفضل الجمهورية على الملكية .

لقد كان يريد وحـــدة ، اي شكل من الوحدة ، وفي ظل اي حاكم واي نظام حكم ، وان كان داعية اصلاح وعلمانية .

ولقد قام الريحاني برحلته العربية ، من اجل ان يعرف العرب بالعرب ، ومن اجل ان يحقق نوعاً من التضامن بين البلاد العربية . وكان ان اقترح صيغة معاهدة بين بعض الرؤساء العرب ســـنة ١٩٢٢ ، ولكنها لم تؤد إلى نتيجة .

كان امين صديقاً للملوك والرؤساء ، ولكنه كان يعتقد ان الوحدة لا تتم إلا بالتربية القومية العلمانية .

ثانياً : علي ناصر الدين . كان الريحاني داعية ، ولكن علي

---

١٩ ـ المصدر السابق ج ـ ٢ ص ـ ٥٣ ـ .

ناصر الدين كان مناضلاً. وقد اشتراك في اكثر النشاطات القومية التي تحدثنا عنها فيما مضى. وسنتابع هنا اراءه القومية من خلال بعض مقالاته التي جمعهـــا في كتاب «هكذا كنا نكتب» (٢٠) مرجئين دراسة كتابة الهام «قضية العرب» إلى الفقرة القادمة من هذه الدراسة، لانه من انتاج مرحلة أخرى.

١ – اشترك علي ناصر الدين في مبايعة الحسين بن علي بالخلافة سنة ١٩٢٣. وكان يحترم فيصلاً ويعتبره العربي الأول.

٢ – واشترك في الدعوة للمؤتمر العـــربي سنة ١٩٣١ – كما أسلفنا –.

٣ – كان يدعو لوحدة سورية دون «لبنان الصغير»، على ان تعاد المقاطعات التي أضيفت اليه بعـد الاحتلال الفرنسي إلى سورية.

٤ – عندما طرحت فكرة «اتحاد سوري على نسق الاتحاد السويسري» يضم لبنان، كتب علي ناصر الدين: «اننـــا في

---

٢٠ – علي ناصر الدين: هكذا كنا نكتب – ج ١٠ مطبعة الاتحـــاد سنة ١٩٥٢.

مقدمة رواد التفاهم والاتحاد »[٢١] .

٥ – ثم دعا لاعتبار لبنان « وحدة مثـــل بقية الوحدات العربية التي تؤلف مجتمعة الامة العربية المخلدة »[٢٢]، على اساس ان المطلوب هو ليس جعل اللبناني سورياً بل عربي .

٦ – يرى علي ناصـــر الدين ان القومية ترتكز « على التاريـخ واللغة والأدب والتقاليد والسلالة الغالبة والمصلحة المشتركة »[٢٣] .

٧ – ودعوة علي ناصر الدين القومية علمانية نوعاً ، فهو يقول مثلاً : « وإن يلحد أحدنا بالدين ، لا يعنينا في شيء مثـــل ان يلحد احدنا بالعروبة »[٢٤] .

ولم يكن علي ناصر الدين متناقضاً مع نفسه ، فهـــو يريد شكلاً من الوحدة ، تسمح به الظروف ، وان كان يطمح لاتحاد شامل .

---

٢١ – المصدر السابق ص (٢٣ – ٢٤ – سنة ١٩٢٥ .
٢٢ – المصدر السابق ص ١٢٩ و ١٣٤ .
٢٣ – المصدر السابق ١٣٥ .
٢٤ – المصدر السابق ص ٥٤ .

ثالثاً ـ عبدالرحمن الشهبندر ، كان الشهبندر من اوائل الذين حاولوا ان يعطوا مجموعة من القضايا محتوى فكرياً خلال الثلاثينات . وقد عالج موضوع القومية في جملة ما عالج من القضايا كالنازية والفاشية والثورة وغيرها . وهو يرى « ان لا امة حيث لا يرتبط الأفراد برابطة التشابه والتماثل »[٢٥]. ويعدد الدكتور الشهبندر عوامل التشابه ، فيذكر منها « الاتصال واحتلال بقعة جغرافية واحدة ، ووحدة اللغة ، ووحدة الدين ، والخضوع مدة من الزمن لحكومة نظامية ثابتة ، ووحدة المصالح الاقتصادية والتقاليد والذكريات » . وهو يرى ان « الوطنية تفوق بمداها البعيد ، وشأنها الخطير سائر روابط الاتصال بين الجماعات »[٢٦]. اما وحدة النسب فهو يرى « ان البيض ـ خصوصاً الآريين منهم ـ افرطوا في تقويم هذه القرابة بالثمن الغالي » وان كان لا ينكر تأثيرها خاصة بالنسبة للسلالات ذات الألوان المختلفة . ويشير الدكتور الشهبندر الى « الأقوام الناشئة » واهتمامها « بعنصر القرابة » ، غير مكتفية بما بينها « من عناصر

---

٢٥ ـ المقتطف ـ المجلد الخامس والثمانون يوليو ـ ديسمبر ١٩٣٤ . القضايا الاجتماعية الكبرى ـ عوامل التجانس (٨٧ ـ ٩٣) .

٢٦ ـ المصدر السابق ص ٨٨ .

الاتحاد الاجتماعي الوثيـــق من لغة وعقيدة وعادة وتاريخ ومصلحة » ذاكراً ان « هذا مما يساعد على تقوية الائتـــلاف الحاضر ، وتأييد الرابطة المنشودة ، وان لم يكن جوهرياً كما يدل تأليف الولايات المتحدة من عناصر متباينة »[٢٧].

ويحارب الدكتور الشهبندر الاقليمية ، معتبراً ان بواعثها إما احقـــاد خلّفتها القرون الوسطى ، او اغراض استعمارية لا يطمئن بالها ما لم تر سكان الشرق العربي ممزقـــين الى فينيقيين وآشوريين وفرعونيين وبربر وعرب علاوة على تمزيقهم الى ملل ونحل لا يتسع لذكرها هذا المقام »[٢٨]. ولكن هل يعني هـــذا انه يطالب بقيام وحدة مركزية ؟ يقول هو في الإجابة على مثل هذا التساؤل : « فإذا ما طلبنا تنظيم الشعوب العربية وتقريبها بعضها من بعض ، فلا نعني ابداً اننا نريد طبع افرادها على غرار واحد ، بل نريد ان يترك للفرد فيها مجـــال تظهر فيه ميزاته الخاصة ضمن الوحدة العقلية الشاملة »[٢٩].

---

٢٧ – المصدر السابق ص – ٨٩ – .

٢٨ – المصدر السابق ص – ٨٩ – .

٢٩ – المصدر السابق .

ويعزو الشهبندر فشل « الثـــورة العربية » سنة ١٩١٦ إلى ما يلي :

١ ـ قيادة الثورة كانت حميدية ، وان كانت مخلصة .

٢ ـ كان الرأي العـام في الوطن العربي متخلفاً ، ومتعلقاً بالخلافة .

٣ ـ افتقاد العمل إلى التنظيم[٣٠].

ويبحث الدكتور الشهبندر موضوع الدين ، وهو يرى ان : «الدين قوة دافعة من أعظم القوى»[٣١] وانه : «ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البشرية ، كما تلازمها الظواهر الاخرى فحيثما تألف مجتمع من الأفراد فمن لوازمه الاولية ظهور الأوضاع الاساسية من نظام وحكومة وإدارة واقتصاد وعقيدة دينية»[٣٢]. وهو يستغرب «ان يبلغ البشر هذا المقام الرفيع في الارتقـاء العقلي ، وتبقى بعض العقائد والشعائر الابتدائية السخيفة ملازمـة له» . ولا يخشى

---

٣٠ ـ المصدر السابق ـ المجلد ٨٦ . الجزء ٤ ، الثورة (رقم ٢) ص ـ ٤٧٨ ـ .

٣١ ـ المصدر السابق ـ المجلد (٨٧) الجزء ٣ ، الدين والثقافة الحاضرة ص ـ ٣٠١ ـ .

٣٢ ـ المصدر السابق نفس الصفحة .

الشهبندر على الدين فهو « طود ثابت ما زعزعته في الماضي الثورة الفرنسية ، ولا تزعزعه الثورة الكمالية ، وإنما الخطر كل الخطر عليه هو الخروج به عن المنطقة التي خلق ليعمل فيها ، واستثمار النفعيين والجهلاء والاحتكاريين للنفوذ الذي يتمتع به » (٣٣) .

- ٥ -

حدثت خلال العشرينات والثلاثينات مجموعة من الاحداث الهامة في الوطن العربي. ولقد كان لهذه الاحداث أثرها في تطور الفكر القومي . ولعل أول هذه الاحداث وأهمها زوال عامل هام من عوامل اختلاف الحركة الوطنية في مصر مع الحركة العربية. فلقد أدى الاحتلال الانجليزي والفرنسي للمشرق العربي، وزوال الخلافة العثمانية، إلى وحدة المعركة مع الاستعمار، وبالتالي إلى نوع من الشعور بالوحدة الوطنية . لقد زالت أسباب الاتهام

---

٣٣ - المصدر السابق - المجلد (٨٧) الجزء ٥ - ٦١٣ - .

التي كانت توجهها الحركة الوطنيـة المصرية إلى الحركة العربية فنضال الحركة العربية ليس ضد الخلافة ، بل ضد الانجليز الذين تقاسي مصر من اضطهادهم أفظع الويلات ، أو ضد الفرنسيين المستعمرين .

لم يكن غريباً والحالة هذه ، ان يوجه سعد زغلول صاحب نظرية جمع الاصفار سنة ١٩١٩ في الخامس من نوفمبر سنة ١٩٢٥ بيـاناً إلى شعب مصر ، يدعو فيه للتضامن مع سورية في ثورتها ضد الاستعمار الفرنسي قائـــلا : « بني وطني . . . سورية التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بها هذه الأيام حوادث هائلة » (٣٤) .

وشهدت مصر خلال هذه المرحلة نشاطاً دعاوياً عربياً ، قام به عدد من ابنائها ، وتمثل اما بالدعوة لارتبـــاط مصر بالوطن العربي ، أو بالعمل عن طريق المعاهدات الثقافية وغيرها لتحقيق مثل هذا الارتباط (٣٥) . ووجدت مثـل هذه الدعوة مكانها في

---

٣٤ – امين سعيد : المرجع السابق ط . اولى الجزء (٣) ص (٥٩٩ – ٦٠٠) .

٣٥ – انيس صايغ : المرجع السابق (ص – ٢٣٠ – ٢٣٨) .

صفوف حزب الوفد فعرف بعض قادته باتجاههم العربي مثل مكرم عبيد وحمد الباسل. غير ان مصر ظلت دون حزب يقوم على أسس عربية : كما ان الدعوة العربية لم تتبلور فيها ، ولم تصل الى ما وصلت اليه في المشرق العربي .

وكان هذا التطور ناتجاً عما يلي :

أولاً : وحدة المعركة مع الاستعمار عامة ، وتطورات قضية فلسطين خاصة .

ثانياً : بدء تكون برجوازية مصرية ، ذات أحلام في تنمية رأس المال المحلي ، وإيجاد الاسواق له ، في مواجهة رأس المال الخارجي * .

ثالثاً : التقاء الاتجاه الاسلامي مع الاتجاه العربي في وجه الدعوات الفرعونية . وكان الدفاع عن اللغة العربية من عوامل هذا الالتقاء لان دعاة الاقليمية ، وبعض العلمانيين ، دعوا لاستعمال العامية .

ان مثل هذا التحول ، هام جداً ، وجدير بالاعتبار ، لأهمية

---

* — مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون ـ انور عبد الملك ـ دار الطليعة ـ بيروت .

مصر الجغرافية ، والبشرية بالنسبة الى الوطن العربي .

ومن احداث هـذه المرحلة الحركات القطرية التي قامت من أجل الاستقلال ، والتي نتج عنها اما استقلال مقيـد كما حدث للعراق سنة ١٩٣٢ ، او معاهدات لم تنفذ . ولقد كان اضطرار الاستعمار لتعديل وضعه الاحتلالي ، امام كفاح القوى الوطنية ذا نتائج خطرة على الكفاح من أجـل الوحدة والتحرر . ومن هذه النتائج قيام حكومات محلية « وطنية » . وكان قيام مثل هذه الحكومات يضع القوى الوطنية أمـام خصم محلي ، ذي نفوذ ومصالح . وكان هذا يشل القوى الوطنية حيناً ، ويفتتها حيناً ، ولو لأجل محدود . وقد خلق مثل هذا الوضع عائلات حاكمة ، وحكاماً محليين وأوضاعاً محلية ، ليس من مصلحتهم أو مصلحتها تحقيق الوحدة ، او التحرر من الاستعمار .

وفي هذه المرحلة بالذات مات الملك فيصل ، « أمل العرب » ، وبعد قليل مات ابنه غازي . وأصبح الوصي على عرش العراق حاكماً . وكان من نتيجة هذا ، ان فقد العرب اي أمل بحكام العراق . فلقد أملوا من فيصل مـا لم يكن كفؤاً لتحقيقه . وعندما مات بايع بعضهم ابنه غازي علناً [٣٦] وأمل كثير منهم

---

٣٦ – حدث هذا في اللاذقية مثلاً . أنظر العقلية العربية بين الحربين .

ان يحقق ما لم يحققه أبوه . ولكنه مات قبل ان يحكم عليه أحد بالفشل ، وفي ظروف غامضة ، زادت العرب ايماناً بوطنيته . وبموت غازي لم تعد قلوب العرب تتجه الى العائلة الهاشمية بسبب زيادة ارتباطها بالاستعمار البريطاني وخضوعها له وتنفيذها مخططاته. ولم يكن هنالك زعيم عربي، او حزب عربي، يحظى بالاعتبار والتأييد على الصعيد العربي .

كانت هذه المرحلة مرحلة الاحزاب المحلية . ان « ابناء » حزب اللامركزية والعربية الفتاة والعهد ، كانت أحزاباً محلية، وقد « اتخذت لنفسها صفات اقليمية من حيث الشكل والنظام والعضوية ، ان لم يكن من حيث الاهداف ايضاً »[٣٧] . والجدير بالملاحظة ان هذه الاحزاب التي نشأت كان الكثير منها وطنياً ، ضد الاستعمار ، وضد التجزئة ، ولكنها لم تسع في هذه المرحلة للاتحاد ، ولم تقم بأي عمل مشترك . ولم يكن أسهل من تكونها واندثارها ، كما لم يكن أسهل من اشتراك رجالاتها في الحكم ، وتحولهم الى أعداء للشعب ، وعملاء للاستعمار .

---

٣٧ – انيس صايغ : من فيصل الى جمال عبد الناصر – م . جريدة المحرر ط . اولى ص – ١١٨ – .

- ٦ -

كان العقد الذي يبتدىء سنة ١٩٣٥ ، وينتهي بعد الحرب العالمية الثانية ، عقد هزيمة وتراجع . ذلك ان كل الحركات التي قامت خلال هذه الفترة فشلت ، ومن جملتها ثورة فلسطين (١٩٣٦ - ١٩٣٩) . ولقد لاقت حركة الجيش في العراق سنة ١٩٤١ هزيمة ساحقة على ايدي الاستعمار البريطاني . وعلى الرغم من ذلك ، فان الفكرة القومية حظيت بالاهتمام اكثر من أية فترة سابقة وفي هذه المرحلة بالذات صدرت أربعة كتب هامة هي :

١ ـ الوعي القومي للأستاذ قسطنطين زريق سنة ١٩٣٨ .

٢ ـ دستور العرب القومي للشيخ عبدالله العلايلي سنة ١٩٣٨ .

٣ ـ آراء وأحاديث في الوطنية والقومية للاستاذ ساطع الحصري سنة ١٩٤٤ .

٤ ـ قضية العرب للاستاذ علي ناصر الدين سنة ١٩٤٦ .

ويجب ان نذكر ان هذا الترتيب صحيح من حيث صدور هذه الكتب فقط ، أما كتابة موادها فيعود كثير منها لتواريخ

سابقة . وخاصة وان كتاب الوعي القـــومي ، وكتاب آراء وأحاديث عبارة عن مقالات كتبت في تواريخ مختلفة .

والآن بماذا جاء هؤلاء ، وفيم يتفقون ويختلفون ؟ ...

لقد اتفق هؤلاء على ما يلي :

أولاً : ان العرب أمة واحـــدة على اختلاف أقطارهم ومذاهبهم .

ثانية : ان كون العرب أمة واحدة يقتضي قيام دولة عربية واحدة او موحدة .

ثالثاً : ان عوامل التفرقة مصطنعة ،وان الدعوات الفرعونية والفينيقية وغيرهما مشبوهة ولا تثبت للنقد العلمي .

رابعاً : ان الوحـــدة العربية تتحقق بنمو الوعي القومي ، الذي كان ما زال ضعيفاً .

أما عوامل تكوين الأمة فهي عند الحصري « وحدة الاصل والمنشأ ، والاشتراك في اللغة والتاريخ ، والتشابه في العواطف والعوائد ، والتماثل في ذكريات الماضي ونزعات الحال وآمـال الاستقبال » [٣٨] ، وعنـد العلايلي هي اللغة والمصلحة والمحيط

---

٣٨ – ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ط . ٢ سنة ١٩٤٤ ص - ١١ - .

الجغرافي والسلالة والتاريخ والعادات [٣٩] ، وعند علي ناصر الدين « وحدة اللغة والتاريخ والادب والذكريات والتقاليد والمنافع والمطامح » [٤٠] ، وعند قسطنطين زريق « اللغة والتقاليد والجهاد الماضي والمصالح الحاضرة والمقبلة » [٤١] . لقد اتفق هؤلاء جميعاً على أهمية عوامل اللغة والتاريخ والتقاليد والمصالح ، وان كان العلايلي قد وضع المصلحة في المرتبة الثانية ، وأغفلها ساطع الحصري نهائياً [٤٢] ، ووضعها علي ناصر الدين وقسطنطين زريق في آخر القائمة . أما السلالة ، فقد كان الموقف منها واحداً مع اختلافات في التأكيد تارة والتقليل طوراً ، ذكرت في هذه التحديدات أو لم تذكر . ويمكن أن نوجز آراءهم في الموضوع ، بانهم لا يعتبرون السلالة الصافية ضرورية لإنشاء كيان قومي ،

---

٣٩ – دستور العرب القومي ، عبدالله العلايلي مكتبة العرفان ط ٢ ص (٨٨ – ٩٥) .

٤٠ – علي ناصر الدين – قضية العرب – منشورات عويدات الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٣ ص – ٣٢ – .

٤١ – قسطنطين زريق – الوعي القومي – دار المكشوف – ط ٢ ص – ٣٧ – .

٤٢ – حازم نسيبة – القومية العربية – دار بيروت ط ١ ص (٨٠ – ١١٢) .

ولكنهم يعتقدون بأنه لا بد « من سلالة غالبة »، يقول العلايلي : « فالسلالة كانت وما تزال عاملاً يشعر الأمة بوحدتها . ونحن في الوطن العربي نجمع عدة عروق ثانوية لسلالة واحـــدة . وبما ان أقوى عرق في مجموعتها هو العرق العربي فيجب إذن جعله قاعدة للقومية والمناداة به وحده »[٤٣] . ويرى الحصري : « ان الاعتقاد بوحدة الأصل والشعور بالقرابة يعمل عملاً هاماً في تكوين الأمم، سواء أكان ذلك موافقاً للحقيقة أم مخالفاً لها ، لأن القرابة بين أفراد الأمم تكون قرابة نفسانية معنوية أكثر مما تكون جسمانية ومادية »[٤٤] .

كما اتفق موقف هؤلاء من السلالة اتفق أيضاً من الدين . انهم جميعاً يرون ان الرابطة القومية هي أقوى الروابط الاجتماعية ، وان الأديان وان كان عاملاً هاماً سلباً وإيجاباً ، فانها لا تستطيع أن تزيل الفوارق بين الأقوام إلا بمقدار ما تنجح في نشر لغة من

---

٤٣ – عبدالله العـــلايلي : دستور العرب القومي ص – ٩٣ – . أنظر أيضاً : علي ناصرالدين : قضية العرب ص (٥٧ – ٥٨) والوعي القومي ص – ٩٥ – .

٤٤ – الحصري ساطع : آراء وأحـــاديث في الوطنية والقومية ص – ١٩ – .

اللغات [٤٥]. ولما كان هؤلاء المفكرون يقولون بان القومية العربية لا تقوم على أساس ديني ، فانهم اضطروا حتى لا يحرجوا أمام الجماهير المؤمنة ، وبسبب تكوينهم الاجتماعي والفكري ، أن يؤكدوا بأن القومية لا تتعارض مع الدين ، وقد ذهب العلايلي إلى انه ليس « بالامكان اقامة صرح قومي بعيداً عن الدين » [٤٦]. وذهب قسطنطين زريق إلى ان القومية الحقيقية « ليست في جوهرها سوى حركة روحية ، ترمي إلى بعث قوى الأمة الداخلية وتحقيق قابلياتها العقلية والنفسية ، لكي تقدم الامة قسطها من تمدن العالم وحضارته . فلا بد للقومية إذن — وهي حركة روحية — من ان تلاقي الدين ، وان تستمد منه القوة والحياة والرفعة والسمو » [٤٧].

ولا بد من أن نشير إلى ان هناك مسألتين هامتين شغلتا أذهان بعض المفكرين في هذه المرحلة ، ونالتا مزيداً من الاهتمام بعدهما ، هاتان المسألتان هما :

---

٤٥ — ساطع الحصري : المصدر السابق ص - ٢٥ - و ٣٠ .

٤٦ — عبدالله العلايلي : دستور العرب القومي ص - ١٣٧ - .

٤٧ — قسطنطين زريق : الوعي القومي ص - ١٢٧ -

أولاً : مسألة الرسالة العربية .

ثانياً : مسألة الفلسفة القومية .

ويعتبر قسطنطين زريق « ان الغاية القصوى لأية أمـــة من الأمم ، انما هي الرسالة التي تؤديها هـذه الامة للثقافة الإنسانية والتمدن العـام » [٤٨] وما « الاستقلال والوحدة » إلا « وسائل لهذه الغاية » [٤٩] . أما هذه الرسالة فليست مما على العربي أن يختاره ذلك : « ان محيط أمته الطبيعي ، وتاريخها الخاص قد أهلاها لمهمة لم تتـــوافر شروطها لأية أمة أخرى ، وان القوة المدبرة وراء هذا الكون قد أعدت العرب لأمر لا يستطيـع أي شعب آخر ان يقوم به دونهم » [٥٠] . ويذكر علي ناصر الدين ان للقوميين العرب رسالة [٥١] ويسمي الاسلام « الرسالة الخالدة [٥٢] . ويتحدث ساطع الحصري عن حيوية الامة العربية [٥٣] .

---

٤٨ – المصدر السابق ، ص – ٥٢ – .

٤٩ – المصدر السابق ، ص – ٥٢ – .

٥٠ – المصدر السابق ص – ٥٩ – .

٥١ – قضية العرب ص – ٢٣ – .

٥٢ – المصدر السابق ص – ٥٩ – .

٥٣ – آراء وأحاديث ص – ٩٣ – .

ولقد اهتم زريق والعلايلي بموضوع الفلسفة القومية . ويرى زريق انه « ليس من أمل للنهضة القومية العربية ، ما لم تكن مستمدة من فلسفة قومية تصور روحها وتحدد اتجاهها، وتنصب لها الاهداف ، وتعين لها السبل والوسائل » [٥٤] . أما العلايلي فيرى انها حاجة وانها ضرورة « لأنها القوة التي تمد المبادىء بالحرارة وتمس الأوضاع بفيض الحيوية ، وتضيف اليها عنصر البقاء والمقاومة . ففائدة الفلسفة المذكورة هي انها قوة حافظة للقضية من ان تمزقها الاعاصير ، مهما كان من عنفها اليوم ، وبعد اليوم » [٥٥] .

ويؤكد علي ناصر الدين وعبدالله العلايلي على اولوية الاتحاد على الوحدة، وبينما يكتفي علي ناصر الدين بالدعوة للاتحاد فقط، على أساس انه «افضل اليوم للعرب من أي نوع من «الاتحادات»، و « افضل من وحدة « الذوبان » [٥٦] ، يذهب العلايلي إلى « ان التماثل الاجتماعي لم يتحقق بعد بين هذه المجموعات العربية

---

٥٤ ـ الوعي القومي ص ـ ١٩ ـ .

٥٥ ـ عبدالله العلايلي : المرجع السابق ص ٧ ـ .

٥٦ ـ علي ناصر الدين : قضية العرب ص ـ (٢٥ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ١٢٦ ـ ١٣٣) .

الكثيرة، وان قيام الصحراء اللوبية يجعل منها مجموعتين كبيرتين، المجموعة المغربيـــة والمجموعة المشرقية » . و « في المجتمع العربي العريض الجوانب تفاوت إلى درجة كبيرة في الصفة ، فـلا بد ليكون مجتمعاً راسخ الدعائم من العمل على احلال التماثل محـل التفاوت » . وهـذا ما يجعله لا يضيق بالإقليمية ، لأن « العرب فيما قبل دور التحرر والتماثل في حل من الاقليمية في ظل الفكرة العربية العامة كشعار مشترك ، وانها جزء من قومية لا قومية تامة ، حتى إذا ما تماثلوا دخـــلوا في كيان طبيعي عفوي » [٥٧] ولهذا كله لا يؤيد العلايلي تحقيق الوحدة بواسطة القوة العسكرية لانه « ليس من المنتظر واليمن ونجد والبحرين مثـــلاً لم تشبع بالفكرة العربية عبر التخوم الداخلية الموهومة ان تلبي بدون مقاومة عنيفة ، فلكي نحفظ هـــذا الدم العربي من ان يسفك نترك العمل للزمن ، على أن نظل جاهدين في العمل من ناحية ثانية على رفع مستوى العرب الفكري الاجـــتماعي بشتى الوسائل » [٥٨] ، « ووجود صفة التماثل لا يعني ان الكيان العربي

---

٥٧ ـ عبدالله العلايلي : المرجع السابق ص ـ ١١٦ ـ ١١٨ .

٥٨ ـ المصدر السابق ص ـ ١١٩ ـ

يتم بدون أن تهرق قطرة من دم ، وإنما المعنى ان كمية الدماء تكون قليلة بالنسبة اليها مع وجود صفة اللاتماثل ، ويكون الكيان أصح قاعدة وأثبت دعامة » [٥٩] .

لقد بلغ الفكر القومي كما نرى درجة من النضوج والتكامل . ويجب ان نذكر ان هذا التكامل تم في ظل الظروف التالية :

١ ـ احتدام المعارك الاستقلالية مع المستعمرين .

٢ ـ تأزم الوضع في فلسطين وانفجار ثورة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، وما نتج عن ذلك .

٣ ـ قيام حركة الضباط الاستقلالية في العراق سنة ١٩٤١ ، وإسقاط بريطانيا للحكم الوطني بالقوة .

٤ ـ صعود نجم البرجوازية ، كبيرة ومتوسطة وصغيرة ، نتيجة التطور السياسي والاقتصادي الذي نتج عن وجود

---

٥٩ ـ المصدر السابق ص ـ ١١٩ ـ .

الاستعمار الانكلو ـ فرنسي .

ولقد شهدت هـذه المرحلة نكبة قومية ثانية ، انها استيلاء تركيا على لواء الاسكندرون السليب سنة ١٩٣٩ .

- ٧ -

استقلت مع نهاية الحرب العـالمية الثانية سورية ولبنان ، وقامت الجـامعة العربية ، استجابة لتصريح من إيدن وزير خارجية بريطانيا . ومع نهاية الحرب بدأت قضية فلسطين تزداد حرجاً .

وكانت أنظمة الحكم « الوطنية » تثبت كل يوم ارتباطها بالاستعمار ، والقلة المستغلة العاملة في خدمته .

ولقد ثبت للعرب ان الفئات الحاكمة عميلة الاستعمار ، ليست قادرة على تحقيق استقلال صحيح ، وليست جادة في موضوع الوحـدة . وكان من نتيجة ذلك ان بدأ تلمس السبيل السليم لتحقيق التحرر والوحدة .

بعد اغتصاب لواء الاسكندرون تجمع بعض أبنائه الهاربين في دمشق وشكلوا ما يمكن أن يسمى « حلقة قومية » . وتجمع سنة ١٩٤١ عدد من الشباب في دمشق أيضاً لنصرة ثورة العراق في حلقة قومية أخرى ، أصدرت عـــدداً من المنشورات باسم « حركة الاحيـــاء العربي » ثم التقت الحركتان ، واندمجتا في « حركة البعث العربي » سنة ١٩٤٢ . تركز معظم نشاط الحركة على اصدار المنشورات حتى سنة ٤٥ – ولكن كان هناك بعض النشاط الجماهيري – وقد أعلم الحزب الحكومة بتأسيسه رسمياً في تموز ١٩٤٥ (اول مرة استعمل الحزب اسم « حزب البعث العربي » كان في أيار ٤٥). وصدرت في السنة التـــالية جريدة الحزب الاولى « البعث » .

وقد انعقد سنة ١٩٤٧ المؤتمـــر التأسيسي الذي صدر عنه دستور الحزب .

وسوف نقدم هنا ملخصاً لأفكار الحزب ومبادئه فقط دون التأريخ له تنظيمياً [٦٠] :

أولاً : ان الحزب تجاوز مرحلة اثبات وحدة الأمة العربية ،

---

٦٠ – يراجع بهذا الشأن كتاب الثورة والجمـــاهير للمؤلف – اصدار دار الطليعة – بيروت .

باستعمال كل الشواهد والدلائل ، كما فعل المفكرون القوميون في المرحلة السابقة ، فانطلق من اعتبار وحدة الامة العربية حقيقة ثابتة ، واعتبار جميع الفوارق القائمة بين أجزاء الوطن العربي مصطنعة وزائفة . ولهذا نص في دستوره على انه « حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية » .

ثانياً : لم يخرج الحزب على إطار الفكر القومي في هذه المرحلة من حيث التحديد « القومي » لمعنى الوحدة ، وإن كان قد خرج من حيث تحديد المضمون السياسي والاجتماعي . رأينا ان المفكرين القوميين لم يولوا قضية نظام الحكم والحياة الاجتماعية أهمية تذكر ، فلقد كانوا « ملكيين » على الاغلب ، ودعاة إصلاح غائم ، فأصر حزب البعث على نظام جمهوري نيابي ، ورفع شعار « الاشتراكية العربية » .

ثالثاً : أصبح موضوع « الرسالة الخالدة » موضوع تأكيد ، وزاد الالحاح على شخصية الامة العربية الفريدة وقدرتها على الخلق والتجدد والإبداع ، وهذه الرسالة ليست شيئاً جديداً ، انها بنت تاريخ طويل ، وقد عبرت عن نفسها في أشكال مختلفة . ذلك : « ان هذه الامة التي أفصحت عن نفسها ، وعن شعورها بالحياة افصاحاً متعدداً متنوعاً في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية

ودين محمد وثقافة عصر المأمون ، فيها شعور واحـــد يهزها في مختلف الأزمان ، ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف » [٦١] . هذا هو معنى رسالة الامة العربية من حيث هي استعداد ونزوع ، ومن حيث هي حلقات حضارية في التاريخ أما في الحاضر : « فإن الرسالة العربية اليـوم هي في ان يتطلع العرب إلى بعث أمتهم . فهذا خير ما يقدمونه للانسان ، لأن القيم الانسانية لا يمكن ان تخصب وتثمر الا في أمة سليمة . فعلى العرب أن يحيوا حاضرهم حتى يستطيعوا ضمان حياة مستقبلهم ، لان المستقبل لن يأتي ما لم نتوصل الى ان نحيـا حاضرنا بآلامه ومآسيه . ان الرسالة العربية الخالدة هي في هذا الحاضر وتلبية ندائه ، والاستجابة لضروراته » [٦٢]

ولم يكن الاعتقاد بتميز الامة العربية يعني نزعة عنصرية معادية للأمم الاخرى ، فلقـــد ساد الحزب اعتقاد بأن الرسالة العربية انسانية بروحها . ولكن هذا لم يحل دون اعتبار الأمة

---

٦١ ـ ميشيل عفلق : في سبيل البعث ط . ١ ـ دار الطليعة ص (٧٧ و ٧٩) حول الرسالة العربية .

٦٢ ـ المصدر السابق ص ـ ٨٢ ـ .

العربية مهيأة أكثر من غيرها لحمل هذه الرسالة. وقد استند هذا الاعتبار إلى :

١ – مقدرة الامة العربية على التجدد والخلق .

٢ – عمق التجربة العربية المعاصرة والآلام التي صحبتها .

رابعاً : يرفض الاستاذ ميشيل عفلق « بحث القومية على الاسلوب الاوروبي » ، ويرفض التعريفات العامة الزائفة التي « يصح ان تقال عن فرنسة القرن الثامن عشر وعن اليونان في عهد أفلاطون وعن العروبة » [٦٣] . غير انه لا يضع تعريفاً محدداً . فالقومية العربية هي « تذكر حي » يعيد للعرب صلتهم المباشرة بطبعهم الصافي الاصيل ، كما انها « التربة التي تنمو فيها مواهب أمة ما » إلى غير ذلك من « التعريفات » . وقد حاول الاستاذ ميشيل عفلق ان يفرق بين القومية ومحتواها. ذلك ان القومية « واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة الى نقاش أو نضال ، اما مجال الاختلاف وضرورة النضال فهما في محتوى هذه القومية ، هذا المحتوى المتطور الذي يحتاج في كل مرحلة من مراحله الى نظرية

---

٦٣ ـ المصدر السابق .

قومية تلائمه »[٦٤] . وكان من نتائج مثل هذا التفكير محاربة الاممية اطلاقـــاً ، واعتبار ان المستقبل هو مستقبل شعوب اشتراكية متعاونة . وقد بلور هـــذه النظرة فيما بعد الدكتور عبد الله عبد الدائم الذي فرق بين الاممية والانسانية . فالاممية «نصل اليها بقتل الفكر القومية لا بتوسيعها »، امـا الانسانية فهي « اتساع للفكرة القومية ونتيجـة لنضجها »[٦٥] . لقد رفضت الأممية اولا ، ثم طرح بديل لها ، وهو « قيام مجتمع انساني متآخ تسود بين كتله القومية روابط التفاهم »[٦٦] .

وكان اهم ما ساهم به الحزب في تطوير الفكر القومي :

١ – الدعوة لوحدة عربية شاملة ، لا لاتحـاد أو تضامن ، بالقضاء على عوامل التجزئة ، ومنها تعـدد العائلات الحاكمة ، بواسطة النضال الجماهيري ،لا باللجوء الى هذا الحاكم أو ذاك. اصر « البعث » على ان الجماهير العربيـة هي التي ستحقق الوحدة ،

---

٦٤ – المصدر السابق ص – ٢١١

٦٥ – عبد الله عبد الدائم: دروب القومية العربية – دار الاداب ط. اولى ١٩٥٧ ص – ٩٦ –

٦٦ – المصدر السابق ص – ٩٦ –

لا الحكام ولا الملوك ولا الطبقات الحاكمة . وكانت الدعوة للوحدة مرتبطة بالدعوة للتحرر من الاستعمار ، والتحرر من الاستغلال الطبقي.

٢ – انشأ الحزب فروعاً في عدد من الاقطار العربية ، متحدياً الحدود والحواجز. وكانت هذه الفروع مرتبطة بقيادة قومية مقرها دمشق وبيروت (١٩٥٩ – ١٩٦٢) . ولم يكن الحزب الرائد في هذا المجال ، فقد سبقته حركات (١٩٠٨ – ١٩٢١) ثم عصبة العمل القومي ، ولكن تجربته كانت اعمق واوسع .

وعلى الرغم من كل ذلك فلا بد من ابداء الملاحظات التالية :

اولاً – كان انتشار الحزب في بلاد الشام (لبنان ، سورية ، العراق ، الاردن) سريعاً ، وواسعاً بالنسبة للاقطار العربية الاخرى ، بينما كان انتشاره محدوداً في اوساط ابناء الجزيرة العربية واليمن ، وضئيلاً جداً في الاقطار العربية الاخرى ، باستثناء ليبيا التي لقي فيها بعض القبول .

ثانياً – كان الحزب مكوناً من « اقطار » ، القطر العراقي ،

القطر السوري الخ ، وكانت هذه الاقطار على اختلاف مستوياتها (قطر، فرع ، شعبة ، فرقة) تابعة للقيادة القومية . وقد اعطى النظام الداخلي القيادة القوميـــة صلاحيات قيادة مركزية ، ولكن الذي حدث عملياً ، وحتى سنة ١٩٥٩ خاصة ، هو ان « الاقطار » كانت تمارس القيادة في ظل مراقبة القيادة القومية الاسمية فقط .

ثالثاً – لا يبدو ان الحزب يؤمن بحرب التحرير الوحدوية ، التي تنطلق متجاوزة الحدود السياسية القطرية . ولقد اشترك في مقاومة اوضاع التجزئة بوسائل مختلفة كالمظاهرات والاضطرابات والانقلابات العسكرية والدعاوة السياسية دون الثورة الشعبية التحريرية .

– ٨ –

قامت بعد الحرب العالمية الثانية محاولتان اخريان ، اولهما محاولة انشاء «جامعة عربية شعبية» سنة ٤٦–٤٧ ، وهي محاولة دعا لها حزب البعث في عدد من منشوراته ثم حزب الاستقلال

في العراق ، الذي دعا عـــدداً كبيراً من المنظمات والاحزاب العربية للمساهمة في انشائها . ولكن المحاولة منيت بالفشل بعد اتصالات ومفاوضات . وكان من اسباب فشلها مقاومة الاوساط الحاكمة لها (٦٨) ، وثانيهما حركة القوميين العرب . وقد سارت حركة القوميين العرب في خط مواز لحركة البعث ، ولم يكن وجه الخلاف بينهما يدور حول تعريف القومية ، او حول تحديد معنى العروبة ، بل كان الخلاف بينهما بادىء ذي بدء منصباً على محتوى الوحدة العربية ، هل تكون وحدة ذات محتوى اشتراكي اولاً ...

ولقد كان القوميون العرب يرون ان تحقيق اطار الوحدة السياسي ، يجب ان ينال الاهتمام كل الاهتمام ، على ان يحـــدد الشعب العربي المحتوى الاجتماعي للوحدة بعـد ان يتحدد اطارها السياسي . ولكن حركة القوميين العرب تجاوزت هذه المرحلة فيما بعد ، فرفعت شعار الاشتراكية مقروناً بشعار الوحـدة . وفي هذه المرحلة أصبح وجه خلاف الحركة مع البعث ينصب

---

٦٨ – محمد مهدي كبه : مذكراتي في صميـم الاحداث ١٩١٨ ١٩٥٨ ، ص ١٩٦ .

على قضية الوحدة ، وكيف يجب ان تتم .

لم تستطع الحركة ان تتوسع في الانتشار . والملاحظ انها وجدت بعض القبول في المناطق التي وجد البعث القبول فيها ، وظلت بعيدة عن المناطق التي ظل بعيداً عنها . ثم انها — ومنذ سنة ١٩٥٨ — تعيش على هامش « الناصرية » . تفسر وتبرر ما يصدر عن القاهرة دون ان يكون لها موقف نقدي ، باستثناء ما نشرته جريدة الحرية من مقالات بعد الانفصال . وقد حلت نفسها في العراق وسورية لتكون ضمن قوى « الاتحاد الاشتراكي العربي » . وقد تشرذمت فيما بعد لتخرج منها احزاب ومنظمات نذكر منها: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية وحزب العمل العربي ، ومنظمة العمل الشيوعي الخ .

— ٩ —

ولعل الناصرية اخطر التيارات القومية واكثرها اهمية مع انها لم تقدم مضموناً جديداً للحركة القومية ، ذلك ان كتابها لم يضيفوا الى الفكر العربي شيئاً ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا ، بأنهم نهلوا من معين الحركات العربية التي ذكرناها دون

سواها . وليس هنالك خلاف اساسي بين تحديد « البعث » لمضمون القوميـــة العربية وتحديد الناصرية لها بشكل عام ، وان كان هنالك خلاف الآن حـول موضوع الوحدة ذاتهـا ، وحول اساليب تحقيقها . ويجب في هـــذا المجال أن نذكر الملاحظات التالية :

أولاً : « الناصرية » حركة محليـة المنشأ ، محليـــة الأداة ، ولكنهـا تلقى تجاوباً جماهيريـاً واسعاً في الوطن العربي .

ثانياً : رفعت الجمهورية العربيـة المتحدة شعارات مختلفـة تتعلق بموضوع الوحـــدة وتضع شروطاً لتحقيقها اهمها ضرورة وجـود اجماع شعبي عـام على الوحدة ، ووجود وحدة وطنية في داخـــل القطر الذي يطلب الوحدة ، ووجـــود نوع من التماثل في الظروف الـياسية ، مثـل (وجود اتحاد اشتراكي ، السير في طريـــق الاشتراكية الخ .) .

ثالثاً : ان الاتجاه الرسمي يعتبر الجمهورية العربية المتحدة « القطر – النموذج » ويرى ، ان الوحـدة العربيـــة تتم

دون ان تصدر مصر الثورة «الى غيرها من البلاد العربية» لأنها «بتجربتها تضع نموذجاً للثورة [٦٩]».

رابعاً: دعا عبد الناصر لقيام حركة عربية واحدة ثورية شاملة، ولكن الدعـوة ذهبت مع الريـح، واكتفي بإنشاء «اتحادات» في العراق وسوريا. ومـع ان هذه «الاتحادات هي ممثلـة الناصرية خارج الجمهورية العربية المتحدة، فانها تشكل وحدات قطرية ضعيـفة لا رابط بينها، وفي قطرين عربيين فقـط، كما انها لم تستطع حتى الآن ان توجـه جماهير الناصريين، ولا يبدو انها ستستطيع في المستقبل.

خامساً: طرحت الجمهورية العربية موضوع الوحدة بأشكال مختلفة منها مثلاً «وحدة الهدف قبل وحـدة الصف» ومنها ايضاً «وحدة، اتحـاد، تضامن» وهي الآن — ومنذ مؤتمر القمة العربي الأول — لا تطرحها بأي شكل من الاشكال.

---

٦٩ - الاهرام، السنة ٩٠، العدد ٢٨١٦١، الجمعة ١٧ يناير ١٩٦٤- بصراحة محمد حسنين هيكل.

ان التأييد الذي تتمتع به الجمهورية العربية المتحدة مهدد بالتبعثر والضياع ، اذا لم تستطع أن توجد تنظيماً شعبياً عاملاً في جميع الاقطار العربية ، تقوده قيادة واحدة ويوجهه ميثاق عمل واحد .

- ١٠ -

هل نخطىء اذا قلنا بان الحركة العربية منذ سنة ١٩٢٠ فشلت في التغلب على عوامل الانتكاس القومي ؟

لا اعتقد ذلك .

ويمكن ان نحصر عوامل الفشل فيما يلي [٧٠] :

اولاً - رسوخ التجزئة بإعطاء « الكيانات » صفة قانونية وشرعية ، ولقد اصبح مواطنو هذه « الكيانات » يحملون جنسيات مختلفة ، ويتعاملون بقوانين مختلفة ، ويدرسون في مدارس مختلفة ، ويخضعون لتوجيهات

٧٠ - هذا بالاضافة للعوامل التاريخية التي حددناها في الجزء السابق من الدراسة .

اقتصادية وسياسية واجتماعية مختلفة . وكان من نتيجة ذلك ان حدد إطار مصطنع لحياة المواطنين ، لم يكونوا قادرين على تجاوزه . في مثل هذا الجو قام عدد من الاحزاب الوطنية ، ولكنها كلها كانت « قطرية » . انها تنشأ في قطر ، وتعمل لأجل تحرره واستقلاله . والجدير بالذكر ان نسبة الاحزاب العربية التي نشأت بالنسبة للأحزاب القطرية لا تكاد تذكر . وفي مثل هذا الجو ايضاً ترعرعت النزعات والدعوات المعادية للعروبة كالفرعونية والفينيقية وغيرهما . ان « الكيانات » القطرية تزداد كل يوم اكتمالاً ، وتتبلور معالم شخصياتها «الدولية » ، مع ان الوعي العربي يزداد . ولعل التكوين القطري للحركات السياسية ، والانقلابات العسكرية القطرية من أهم اسباب نكسة الوحدة .

ثانياً – لم تنشأ حركة قومية عربية واحدة ، ذات قواعد منظمة في كل قطر ، وذات ميثاق عربي شامل .

ثالثاً – كان طابع « الثورات » ضد الاستعمار أو ضد الاقطاع والبرجوازية التجارية « قطرياً » . وكانت

« الثورات » قطريـــة في اداتها ، قطرية في دائرة عملها . ولم تقم ثورة عربية واحـــدة في قطر ، بعد الاحتلال البريطاني الفرنسي ، وامتدت الى اقطـــار أخرى ، حتى عندمـــا كانت الظروف ملائمة لمثل هذا الامتداد ، كما حدث سنة ١٩٥٤ عند انفجـــار ثورة الجزائر مثـلاً . لماذا لم تكن ثورة الجزائر قادرة على ان تلتقي مـــع ثورة « المغرب » ، وثورة تونس ، لتتحـــول الى ثورة عربية شاملة ؟ ولماذا لم تتحول اعمـــال المقاومة المحلية قبل ذلك الى حركة عربيـــة واحدة مع ان انفجارات كانت تقع هنا وهناك وفي وقت واحـــد ، احياناً . ولماذا لا لا تستطيع « الاقطار العربية المتحررة » ان تتلاقى الآن على طريق الوحدة ؟ !

ان انكماش « الثورات » ضمن الحدود التي خططهـــا المستعمرون ، هـــو اخطر دلالة على عدم توافر قاعدة شعبية موحدة للوحدة العربية .

اما اسباب هذا كله فهي :

١ – التكوين شبه الاقطاعي للوطن العربي . ولقد كانت

الزعامات المحلية قبل الاحتلال الاجنبي زعامات «عشائرية» تتوسع او تنكمش في معركتهـــا مع جيرانها . وحين انشئت الكيانات السياسية الحديثة ،نشأت معها « اقطاعية –سياسية» مكونة من الاقطاعيين والبرجوازية التجارية ثم البرجوازية الصناعية والوسطى فيما بعد . ولم تكن لهذه « الاقطاعية – السياسية »مصالح او مطامح ابعد من الحكم القطري والمحافظة على المصالح القطرية .

٢ – وجود اشكال من الاستعمار ، ومحاربة الاستعمار لأي شكل من الوحدة .

ويجب ان نذكر هنا ان الفكرة القومية العربية ، لم تتم ولم تكتمل الا مع البرجوازية (تجـــارية وصناعية وصغيرة) في الوطن العربي . فليس غريباً والحالة هـذه الا تنشأ الاحزاب القومية الا في الثلاثينات والاربعينات ، وبعد الحرب العالميـة الثانية خاصة . الا ان وضع البرجوازية (تجـارية وصناعية) حرج في هذه الايام ، التي تقفز فيهـــا البرجوازية الصغيرة الى السلطة ، فهي مضطرة لان تكون ضد الوحـــدة ، وحليفة الاستعمار ، دفاعاً عن مصالحها ومواقعها الاخيرة . انها في حالة

دفاع ، وهي تبني متاريسها وراء حدودهـــا القطرية . اما البرجوازية الصغـيرة ، فهي ضعيفة وغير متماثلة على المستوى العربي ، وغير منظمة وهذا ما يجعلها عاجزة عن قيادة معركة الوحـــدة بنجاح .

فهرست

مقدمة ٥

الفصل الاول : نشأة الحركة القومية العربية ٧
١٨٥٠ — ١٩٢٠

الفصل الثاني : الثورة العربية سنة١٩١٦ ٤٧

الفصل الثالث : الفكر القومي في ظل التجزئة ٦٩
السياسية

صدر للمؤلف عن دار الطليعة :

- الثورة الفلسطينية : ابعادها وقضاياها .
- في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة .
- حرب الشعب .. وحرب الشعب العربية .
- التجربة الفيتنامية : دروسها السياسية والعسكرية .
- نحو ثورة فلسطينية جديدة .
- المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ – ١٩٤٨)
- المسيرة الى فلسطين .
- مناقشات حول الثورة الفلسطينية .
- الثوري العربي المعاصر .
- الثورة والجماهير .
- الماركسية والمسألة اليهودية .

صدر في سلسلة الفكر العربي والقومية العربية

في سبيل البعث

ميشيل عفلق

من النكسة الى الثورة

د. نديم البيطار

قضايا الثورة العربية

د سعدون حمادي

الاقليمية الجديدة

عبدالله الريماوي

تطور المفهوم القومي عند العرب

د. انيس صايغ

ثلاثة لبنانيين في القاهرة

د. رفعت السعيد

حول بعض قضايا الثورة العربية

ياسين الحافظ

دراسات في الثقافة الوطنية

د. انور عبد الملك

الحيادة الجديدة : عودة الى يوميات برجوازي صغير

احسان مراش

طبع في

الغبيري - ص.ب ٢١٦ - ٢٥ لبنان
تلفون : ٣٨٠٩٦٢

هذا الكتاب

تعاني الحركة القومية العربية في هذه الايام مأزقاً . كيف حصل ؟ ما هي جذوره ؟ ثم ما هي الظروف التي نشأت فيها الحركة القومية العربية وتطورت ؟

هذا ما يحاول هذا الكتاب الاجابة عليه .

الناشر

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٢٢٥ ق.ل.